المركز القومى للترجمة



المشروع القومى للترجمة

خاثينتو بينابينتى

ليلة السبت و القوة الغاشمة

مسرحيتان

ترجمة: آمال شكرى لبنة

مراجعة وتقديم: صبرى محمدى التهامى



1120



روائع الدراما العالمية

مسرحيتا « ليلة السبت » و « القوة الغاشمة »

المركز القومى للترجمة
المشروع القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

سلسلة : روائع الدراما العالمية
المشرف على السلسلة : أحمد سخسوخ
- العدد : ١١٢٠
- « ليلة السبت » و « القوة الغاشمة »
- خاثينتو بينابينتى
- آمال شكرى لبنة
- صبرى محمدى التهامى
- الطبعة الأولى ٢٠٠٧م

هذه ترجمة مسرحيتى:
La noche del sábado
y La Fuerza bruta
por Jacinto Benavente

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦
فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo
e.Mail:egyptcouncil@yahoo.com **Tel.:** 27354524 - 27354526
Fax: 27354554

« ليلة السبت »

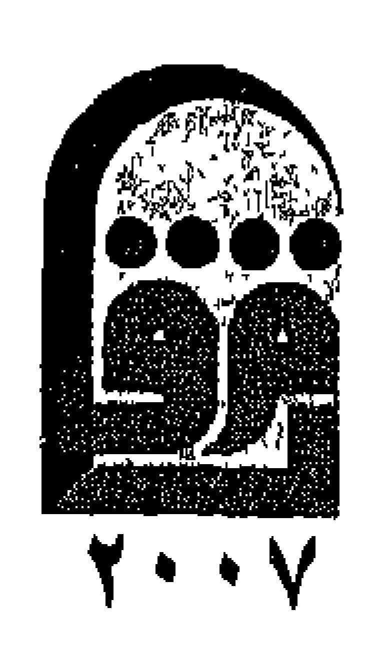
و

« القوة الغاشمة »

تأليـــــف : خـاثيـنـتـو بيـنـابينتى

ترجمـــــة : آمــال شكــرى لبنــة

مراجعة وتقديم : صبرى محمدى التهامى



٢٠٠٧

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

بينابينتى، خاثينتو
مسرحيتا ليلة السبت ، والقوة الغاشمة
تأليف :خاثينتو بينابينتى، ترجمة : آمال شكرى لبنة،
مراجعة وتقديم : صبرى محمدى التهامى
ط ١ - القاهرة : المركز القومى للترجمة، ٢٠٠٧
٢٦٨ ص، ٢٠ سم
(أ) لبنة، آمال شكرى (مترجم)
(ب) التهامى ، صبرى محمدى (مراجع ومقدم)
(جـ) العنوان

رقم الإيداع ٢٠٠٥/٢٢٦١١
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز .

المحتويات

مقدمة المراجع

لقد كان خاثينتو بينابينتى مارتينيث شغوفًا محبًا للقراءة، وحريصًا على اقتناء أحدث الكتب والأعمال الأدبية، وحضور أول عرض لهذه الأعمال.

وقد غذَّت هواية حبّ القراءة والاطلاع الهواية الثَّانية لدى كاتبنا وهى ولعه بالمسرح ، تلك الهواية التى نمت أيضًا بفضل اصطحاب الدكتور بينابينتى لنجله الصَّغير كى يشاهد كثيرًا من المسرحيات فى ليالى السَّبت محبَّبة إلى قلب الصَّغير ؛ ممَّا جعله هذا الشَّغف والحب بتسمية أحد أعماله الدِّرامية (ليلة السَّبت) ١٩٠٣ "La Noche del Sábado" .

ولا غرو فى ذلك ، فقد نمت لدى مؤلِّفنا هواية المسرح حتى إنه كان يصنع مسارح من الورق المقوَّى ليتسلَّى مع أقرانه وليسلِّى الجيران وأفراد الخدم ، وكانت لبينابينتى قدرةٌ لا نظير لها على تقليد أصوات شخصيات المسرحية ، حيث كان يقوم بعدَّة أدوار فى العملِ الدِّرامى الواحد .

وقد استمر إنتاج بينابينتى المسرحى يتدفّق ، كما ظلّ الكاتب الفذُّ يتربّع على عرش المسرح الإسبانى طوال عدّة حقبٍ من الزّمان ، وظلّ يكتبُ أعمالاً دراميةً حتى جفّ مداد قلمه عندما وافته المنية ورحل عن عالمنا فى الرّابع عشر من يولية ١٩٥٤ .

مسـرحيـة «ليـلة الـسَّـبت»

أحداث المسرحية :

تبدأ المسرحية بمقدِّمةٍ تهدف إلى تهيئة المشاهد والقارئ للأماكن التى تدور عليها الأحداث ، يقدِّم لنا الكاتب مجتمعين مختلفين تمامًا : أحدهما كلاسيكى مثالى، والآخر منحطٌ يعرف الشَّر كل المعرفة، لكنه يحاول جاهدًا أنّ يخترع واقعه الخاص به . ينتقد بينابينتى فى هذا العمل هؤلاء الأشخاص الذين يهربون من حياتهم الرَّتيبة الباردة ، لكنَّ حياتهم تطاردهم وتتبَّعهم . فالكاتب يقدِّم لنا بيئةً تتأرجح بين المثالية والواقعية ، بين الخير والشَّر ، ما هو بدائى وما هو متحضِّر ، بين الجمال والقبح ، بين الصِّدق والكذب فى الحياة . وقد جمع الكاتب بين قناعى الحياة الرَّمزيين : الضَّحك والألم .

فى فيلاً بإحدى الدُّول الخيالية اجتمعت أميرة سوابيا مع نجلها الوحيد الأمير فلورينثو فى صالون فاخرٍ، وكان معها أيضًا الأمير ميجيل أليخاندرو أمير سوابيا، والشَّاعر الإنجليزى هارِّى لويثنت سكرتير الأمير فلورينثو ، والمثَّال الإيطالى ليوناردو، والكونتيسة رينالدى

، وبعض الشّخصيات الأخرى . وإمبراطورية سوابيا يحكمها عاهل ليست لديه ذريةٌ مباشرة، والأمير فلورينثو هو أقرب وريثٍ له ، لكنَّه رجلٌ غارقٌ في الملذَّات وغير مسئولٍ على الإطلاق . وإذا لم يرث هذا الأمير عرش الإمبراطورية سينتقل التَّاج مباشرةً إلى عمِّه الأمير ميجيل أليخاندرو. وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ الأمير فلورينثو والأمير ميجيل أبعدهما الإمبراطور عن سوابيا خشية أنْ يستوليا على الملك قبل الأوان.

ومع ذلك فلا أحد منهما يتطلَّع إلى العرش؛ لأنَّ فلورينثو ليس له همٌ سوى البحث عن ملذَّات جديدةٍ على الرَّغم من جسده المتهالك وصحته المتدهورة . أمَّا سكرتيره هارِّي لوثينت فإنَّه فاسق مثله تمامًا؛ فهو المنوط به تنظيم السَّهرات الحمراء - وفيما يتعلَّق بالأمير ميجل أليخاندرو ؛ فهو رجلٌ ناضجٌ ، كما أنه أثرى أمراء سوابيا . قاطبةً . إنَّه يعشق الحياة الهادئة. إنه يخشى تولي عرش الإمبراطورية ، ولذلك فهو في غاية السَّعادة لكونه بعيدًا عنها. أمَّا إيمبريا حبيبته فعلى العكس من ذلك تمامًا، إنَّها تتطلَّع إلى عرش الإمبراطورية ، لكن هناك عقبات تعترض طموحاتها وتطلعاتها وأحلامها؛ منها : أصلها الوضيع والمتواضع فإيمبريا من أسرة فقيرةٍ للغاية، لكنَّها تتمتَّع بشخصية قويةٍ وإرادةٍ حديديةٍ لا تقهر . ويبقى أنَّ الكاتب قدَّمها في وضعٍ مزرٍ ؛ حيث وافق والدها على أنْ يتركها للمثَّال ليوناردو لكي تعيش معه كموديل مقابل خمسمائة ليرة. أرادت إيمبريا أنْ تنسى، بل تتخلَّص من حياة البؤس والفقر المدقع والحرمان والمعاناة . إنَّها تريد أنْ تهجر واقعها،

وتُحلِّق فى عالم الخيال والأحلام ؛ لذلك تعرَّفت على الأمير ميجل أليخاندرو ، وحكت له الكثير عن حياتها البائسة. كان والدها يمتلك كوخًا على ضفاف نهرٍ كان يستفيد منه كلوكاندةٍ ومسرح. كانت إيمبريا تعمل نهارًا كموديل وفى الليل راقصةً ومطربةً . كان زوجها فى السِّجن يقضى عقوبة المؤبَّد لأنَّه قتل أجنبيًا بغرض السَّرقة لأنَّه كان يتضوَّر جوعًا . لقد رزقت من زوجها بنجلتها الوحيدة دونينا التى تعمل فى سيرك. أمَّا العائق الثَّانى فيكمن فى وجود الإمبراطور نفسه والأمير فلورينثو ، هذا فضلاً عن ميلاد نجل للإمبراطور الحاكم بمجرَّد أنْ بدأت أحداث المسرحية استنادًا إلى برقيةٍ قادمةٍ من سوابيا.

تنتهى اللوحة الأولى من المسرحية بظهور إيمبريا وهى تقصُّ على حبيبها الأمير ميجيل أليخاندرو بؤس حياتها، ثمَّ أخبرت الأمير فى حوارٍ قصيرٍ أن ابنتها دونينا منذ الرَّابعة عشرة من عمرها تعمل فى سيركٍ وهى تُحبُّ رفيقًا لها. كان الأمير يخضع لإرادة إيمبريا الحديدية .

أمَّا اللوحة الثَّانية فقد دارت أحداثها فى السِّيرك حيث تعمل دونينا . ولعلَّ أهم ما فى هذه اللوحة المسرحية هو أنَّ الأميرة رينالدى قطعت علاقتها مع عاشقها مهرِّج السَّيرك لتقع فى أحضان مروِّض الأفيال.

كان الأمير فلورينثو حبيبًا لإيمبريا خلال فترة من الوقت ، لكنَّه الآن متيَّمٌ بنجلتها دونينا التى تُحبُّ ، فى الوقت نفسه ، نونو الذى لا يُحبها،

ولكنَّه يريد الاتجار بجسدها، وسيقدِّمها للأمير الفاسق فلورينثو . قام نونو وهارِّى لوثينتى بتنظيم سهرةٍ حمراء فى مكانٍ سيئ السُّمعة سيحضره كثيرٌ من الفنَّانين.

علمت إيمبريا من خلال حوارٍ مع الأميرة رينالدى بأنَّ دونينا ستحضر تلك السَّهرة الحمراء؛ فأسرعت لكى تمنع نونو من تقديم دونينا إلى الأمير فلورينثو السَّادى، ذهبت دونينا إلى مكان السَّهرة الحمراء وسمعت صرخةً مدوِّيةً ، ثمَّ أعقبها غموض بين جميع الحاضرين. عندما علمت دونينا بأنَّ نونو قد باعها لفلورينثو قامت بشقِّ قلبه بطعنة حينما همَّ الأمير بتقبيلها . سقط فلورينثو جثَّةً هامدة فى الحال، لكن صاحب الملهى حافظ على الهدوء والسَّكينة ، وأجلس الأمير المقتول على كرسى كأنَّه سكران، وقد ألقى عليه بزجاجة شمبانيا. جاء رئيس الشُّرطة عقب الصَّرخة المدوِّية ، لكنه لم يتمكَّن من معرفة أىِّ شىءٍ. وقد استمرت السَّهرة الحمراء وحياة اللهو أمَّام جثَّة فلورينثو . لم يدر عمه الأمير ميجيل ولا والدته ولا الأميرة رينالدى شيئًا عمَّا حدث وظلُّوا يبحثون عن الأمير فلورينثو. وفى تلك الأثناء وصلت برقيةٌ من سوابيا تفيد بوفاة الأمير المولود حديثًا . أراد الإمبراطور أنْ يعود الأمير فلورينثو ووالدته إلى سوابيا بغية التَّصالح معها؛ فقد يتنازل عن العرش.

استطاعت إيمبريا إقناع رئيس الشُّرطة بأمورٍ تنأى عن الحقيقة تمامًا بشأن اغتيال الأمير فلورينثو . لو أنَّ فلورينثو اغتيل

بالفعل لتحتّم البحث عن القاتل، ولكانت هناك فضيحةٌ دوليةٌ؛ فالأمير فلورينثو كان بغيضًا ومكروهًا ، كان شخصيةً غامضةً بين الشّخصيات الأخرى بالمسرحية. لقد التزم الجميع الصّمت حتى لا تنتشر الافتراءات والأكاذيب.

لقد فرضت إيمبريا حقيقةً أخرى وقد تركت الآخرين جميعهم مقتنعين تمامًا بأن الأمير فلورينثو قد انتحر .

بعد وفاة الأمير المولود حديثًا ، واغتيال الأمير فلورينثو ، وتجاوز إيمبريا لوضعها المتواضع من جرّاء علاقتها الغرامية مع الأمير ميجيل أليخاندرو أصبح الطّريق ممهّدًا أمامها تقريبًا لكي تصل إلى المجد وتحتل عرش سوابيا ، لكن اعترضت طريقها عقبةٌ أخرى : مرض نجلتها دونينا ووفاتها فيما بعد . استحوذت الحيرة على إيمبريا ، وساورها الشّكُّ . لقد استُدعي الأمير ميجيل أليخاندرو لكي يتولّى عرش إمبراطورية سوابيا ، لكنّه أعلن بوضوح : إذا لم توافقه إيمبريا لن يذهب إلى إمبراطوريته .

لكنّ هذا التّردد ليس مألوفًا لدى إيمبريا، ولم يستمر كثيرًا، وقبلت مرافقة ميجيل أليخاندرو لكي يذهبا معًا إلى سوابيا لكي يحكم ميجيل الإمبراطورية وتحكم إيمبريا قلبه . بتلك الإرادة الحديدية ، وهذا التّصميم والإصرار الجاد استطاعت إيمبريا رويدًا رويدًا تحطيم الواقع حتى تمكنت من تحقيق هدفها والوصول إلى غايتها .

إهداء المترجمة

إلى أمي الغالية رمز الكفاح التي شملتني وإخوتي برعايتها ، فأنا مدينة لها بكل الفضل فجزاها الله عنا خير الجزاء وعظيم الأجر.

آمال

أولاً : ليلة السَّبت[1]

(١) عرضت للمرة الأولى مرة بمسرح الإسبانيول (الإسبانى) ، بمدريد ، فى ليلة ١٧ من مارس عام ١٩٠٣ .

الشخصيات

EI PRINCIPF FLORINTINO	الأمير فلورنثيو	EL LECTOR	القارئ
LORD SAYMOR	لورد سايمور	IMPERIA	إيمبريا
DE SUAVIA	دوق سوابيا	ETELIAN	الأميرة إتلبينا
HARRY LUCENLE	هارى لوثنتى	LA CONDESA	الكونتسة رينالدى
ELSIGANORY	السيجنورى	LADY SAYMOR	ليدى سايمور
SR JACOB	السيد جاكوب	EDITH	إديث
NUNU	نونو	DONINA	دونينا
TOMMY	تومى	GUINY	جينى
TABACO	تاباكو	LILIA	ليليا
RUJÚ-SAHIB	رحو - صائب	RAIDA	رايدة
GAYTANO	جايتانو	MAYESTA’	مايستا
CECCO	ثيكو	ESTHER	إستر
PIETRO	بيترو	JULIETA	خوليتا

SIGNORE	المأمور	ROSINA	روسينا
GENARO	خينارو	PEPITA	بيبيتا
MARINERO 1°	بحار أول	CELESTE	ثيلستى
MARINERO 2°	بحار ثانى	TRESINA	تريسينا
MARIBERO 3°	بحار ثالث	NELLY	نيلى
MARIBERO 4°	بحار رابع	MARCELA	مارثيلا
MANCEBO 1°	صبى أول	LEONARDO	ليوناردو
MANCEBO 2°	صبى ثانى	EL PRINCIPE MIGUEL ALE JANDRO	الأمير ميجيل أليخاندرو
CONRAK	كورناك		
(DOMADOR DE ELEFIANTES)	(سائس الأفيال)		

سيدات ، سادة ، فنانو السيرك ، بحارة ، غجر ، خدم ، رجال شرطة ، إلخ .

الأحداث فى فصل الشتاء بمكان بين إيطاليا وفرنسا .

مقدمة

القارئ – ليلة السبت، اجتمع البحر والسَّماء والأرض بحب وسرور غامر. الضوء والموج والجبال والأوراق كأنها قهقهة لعالم صغير لا يعرف معنى الألم والموت. يا لها من قطعة سعيدة من الأرض! لا يسكن بها سوى الآلهة والأبطال والحور الجميلات، ولا ينظر إليك بها سوى أرواح العلم والحب ؛ شعرك به قصائد فى مناجاة العشاق لـ نيوكريتو TEO CRITO[1] وقصائد رعوية لفيرخليو VIRGLIO[2] ، إذا قامت روح من زمننا الحزين بتعظيم حزنها، ستكون على غرار الشاعر الإلهى شيلّىCHILLY[3] ، المؤمن بالانسجام الأبدى بين الحق والخير والجمال، والذى لم يحدد الكون اللانهائى وعَبَدَ الله فى جميع الأحوال، وقد اتخذ الابتهالات نفسها الجميلة للشاعر المقدس عزيز، العاشق العالمى، كشعيرة من الشعائر؛ حيث كان يحيى جميع المخلوقات بأنشودة حب ملتهبة: أختى

(١) نيوكريتو : شاعر إغريقى (سرقوسه ٣١٥ ق . م – ٢٥٠ ق . م).
(٢) فيرخليو : شاعر لاتينى (٧٠ ق . م) ومن أشهر أعماله « القصائد الرعوية » .
(٣) شيلى : شاعر إنجليزى (١٧٩٢ – ١٨٢٢) ومن أشهر أعماله "روساليندا وإيلينا" .

الشمس، أخى الماء ، إخوانى العصافير، أخى الذئب... إخوانى جميعًا !
وهنا، فى هذه القطعة من الأرض المغرمة بالطبيعة، انظروا الآن، إنَّهم الرجال. إنَّه فصل الشّتاء المواكب للعصر، وقد اختاروا جيدًا فردوسهم الدنيوى .. يمكن أن يكون كذلك، لكنهم يهربون من برد الشتاء، ويصطحبون برودة حياتهم؛ يهربون من حياتهم لكنها تتبعهم... أى طريق بالنسبة لهم ما هو إلاَّ جحيم مرعب، وهكذا يمكنهم أن يقولوا لكم ذلك عند مدخلها...

بالنسبة لى ، فإنَّ المدينة تتألم
بالنسبة لى ، فإنَّ الألم أبدىُ
بالنسبة لى ، فإنَّ النَّاس مفقودون

الفصل الأول

المشهد الأول

صالة فى فيلا فخمة

الأميرة إتلبينا، ليدى سايمور، الكونتيسة رينالدى، إديث، ليوناردو، الأمير ميجيل، الأمير فلورنشيو، لورد سايمور، هارى لوثنتى ، دوق سوابيا . إديث يعزف على العود وليدى سايمور وليوناردو يستمعان للموسيقى . الأميرة إتلبينا، الأمير ميجيل، لورد سايمور ، دوق سوابيا يشربون الشاى فى مجموعة أخرى. الأمير فلورنشيو، الكونتيسة رينالدى، هارى لوثنتى يشاهدون لوحات ونقوشًا ويتناقشون بحماس. عدد من الخدم يقومون بالخدمة.

(سلَّم خادم برقية للأمير ميجيل)

إتلبينا : هل هناك أنباء من سوابيا؟

الأمير ميجيل : نبأ عظيم ! (ناظرًا إلى الأميرة.) لابد أن تكونى أول من أخبره به، اقرئى...

الدوق : أهناك شيء خطير؟ (وقد فرض صمتًا على المكان) الموسيقى، أيها السادة...

إتلبينا : يا للفرحة ! سمعت أن صاحبة الجلالة

الإمبراطورة وضعت فى سعادة بالغة أميراً لولاية العهد.

الأمير ميجيل : يحيا الأمير ! ...

الجميع : يحيا!.....

الدوق : تحيا سوابيا ! ...

الجميع : تحيا ! ...

الأمير فلورنثيو : (آخذاً البرقية) أخيراً !... أمير، بعد سبع أميرات. لقد اثقلت الإمبراطورية كاهلى لوقت طويل. لقد كانت هى سقمى، والآن سأسترد صحتى بالكامل.

ليدى سايمور : تولّ مسئوليتك فى سعادة غامرة.

ريناldى : فالعرش لا يضيع يوماً.

إتلبينا : (للأمير ميجيل) أجب على الفور؛ فلا ينبغى أن نتأخر فى إرسال تهنئتنا وأمنياتنا الجميلة بالسعادة للإمبراطورة.

الأمير فلورنثيو : لن يعتبرنا أحد صادقين، فلديهم فكرة خاطئة عنى؛ فلقد أبعدتنا الإمبراطورة عن البلاط الملكى خشية أن أكون متلهفًا لكى أصبح إمبراطوراً؛ فالآن وأكثر من أى وقت مضى يتحتم علىّ العودة إلى سوابيا، ستكون حياة ابن عمى الجليل مرتبطة بحياتى، أما حياتى فهى تكفينى.

إتلبـــــــــينا : يلاحظ جيداً أنك لا تكترث بحياتك كما يجب.

الأمير فلورنثيو : فالآن حياتي لي وحدي، وسأحبها. أنا حر!
لم أعد وليًا للعهد، لن تنصب عليَّ اهتمامات وآمال كثيرة...، ولن تكون هناك ضغائن كثيرة. ولن تكون بنات أعمامي الأميرات شغوفات لكي يصبحن إمبراطورات مشاركات.
الآن سيمنعهن قانون ساليكا العريق للإمبراطورية من أن يكن إمبراطورات ... ، الآن لن يكترثن مثلي ...

إتلبـــــــــينا : لا تتكلم هكذا، دائمًا هذه النغمة الطائشة.

الـــــــــــدوق : يا صاحب السمو، نحن كثيرون ؛ الذين نأمل في سموك؛ الذين شاهدنا ولادتك، وناضلنا إلى جانب والدك. أمير طفل ، الإمبراطور كهل، والإمبراطورية مضطربة.

الأمير ميجيل : أجل ، ولكنه ليس حلاً.

الأمير فلونثيو : (للأمير ميجيل) عمي العزيز، فأنت مازلت شاباً، يمكنك أن تكون الوصي على العرش، كما لو كنت معي؛ لأني أعرف بأن الإمبراطورية كانت ستثقل كاهلك ، وكنت سترثها في النهاية.
فحياتي كإمبراطور ستكون قصيرة حتمًا.

إتلبينا : من يدرى ... ربما كانت الحياة هدفًا لك.. ليس كما هو حالك الآن. فى جميع الأحوال ، إذا كنت سعيداً ... !

الأمير فلورنثيو : إننى سعيد جداً، وماذا عنك؟ هل تتذكرين عبارة داود المريرة فى "الملوك فى المنفى" ؟ هل سيقل حبك لى الآن لأننى لن أصبح ملكًا؟

إتلبينا : أيها الجحود! أيها المجنون! إن كلَّ ما أتمناه أن تعيش سعيداً.

ليدى سايمور : يعزف إيديث النشيد العسكرى لإمبراطوريتك المفقودة؛ فهو أصيل للغاية.

الأمير فلورنثيو : على العود؟ سيكون لحنها كشخص محتضر؛ فهو عبارة عن أنشودة من البوق والطبول، لا تفهم بدون إشهار السيوف وأطقم الخيل؛ فهى تعتبر الروح العسكرية لوطننا ... وسوف ترون ؛ يقولون إن راهبًا أجنبيًا هو الذى وضع هذا اللحن لجنازة شاعر.

الدوق : إنها أسطورة مضحكة.

ليدى سايمور : إنَّه لشىء جميل، راهب، شاعر ...

ليوناردو : لو كان تينيسون موجوداً لألَّف قصيدة.

ليدى سايمور : ياله من شاعر عظيم ! إنه شاعر وفارس شهير فى المجتمع الرَّاقى .

هاري لوثنتي : (لليوناردو) ليدي سايمور تريد أن تربكني باحتقارها لشخصي، فلن تغفر للأمير دعوته لي.

ليوناردو : أنت فضيحة إنجلترا.

هاري لوثنتي : فتش عن أمناء هؤلاء السيدات العظام، ستجد لدى كل واحد منهم جزءًا من أشعاري في خطابات أحبابهن ... وفوق منضدة حجرة الجلوس تجد الكتاب المقدس وكتب كبلنج[1].

ليوناردو : ولديها زوج محترم على المائدة.

هاري لوثنتي : بعد ارتكاب الخطايا مع أراذل الخلق.

ليوناردو : قلت لك هذه الدّعابة بالأمس، وقد بدت لك سخيفة.

هاري لوثنتي : وستظلّ كذلك طالما يتلفظ بها شخص أجنبي. هل تعتقد أنّه من السّهل نسيان أني إنجليزي؟ لقد نفتني إنجلترا كما نفت بيرون ...

ليوناردو : لكنك لم تستطع نفي إنجلترا.

رينالدي : بيرون؟ أنا لا أعتبره غير أخلاقي. لقد تعلّمت الإنجليزية من خلال قراءتي لبيرون، وكنت مازلت طفلة.

(١) كبلنج : كاتب بريطاني (بومباي، ١٨٦٥) ومن أشهر أعماله "كيم" (١٩٠١) وحاصل على جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٠٧ .

ليـــــــونـاردو : ألم ينقصك سوى تعلم الإنجليزية بالقراءة لبيرون؟

ريـــنـــالـــدى : نحن الإيطاليات لسنا كالليدى سـايـمـور؛ فنحن لا نخشى التعامل مع الشعراء المنفيين.

ليـــــــونـاردو : الكونتيسة لن تتأثر بالفضائح (هذا أمر عـادى فى حياتها) .

ريـــنـــالـــدى : إننى ناقهة فقط، لذلك أقضى هنا كل شتاء.

ليـــــــونـاردو : دائمًا وحدك.

ريـــنـــالـــدى : زوجى لا يحب المجىء إلى هنا .

ليـــــــونـاردو : نعم، إنَّه الآن قد شُفِىَ.

إتـلـبـــــــيـنـا : ستشتعل سوابيا بالاحتفالات فى هذا الوقت.

الـــــــــــدوق : البـلاط الملكى ورجـال الحكومـة والشـعب كـانوا يحبون الأمير فلورنثيو: لم ينسوا أنه ابن المحرر، الذى لا يُقهر، زوج سموكم، المبجل فى سوابيا .

إتـلـبـــــــيـنـا : إنها حقيقة، لكنكم تعلمون كم حـاولوا فى السنوات الأخيرة تشويه سمعة نجلى.

الـــــــــــدوق : أى حـيـاة تلك لشـاب فى العـشـرين من عـمـره تستطيع تحمل هذه الرقابة المستمرة؟

الأمـيـر مـيـجـيـل : لكن لو كـان فلورنثـيـو شـخـصًـا آخـر... لا أريد أن أحزنك، إنَّه نجلك الوحيد، وأعرف كم تحبينه، لكن سلوك فلورنثيو...

إتلبـــــــينا : ماذا ستقولُ لى، أشىء لا أعرفه؟ لقد بكيت كثيراً، لكن ما يهمنى الآن هو صحته فقط. لابد أن يسترد صحته هنا.

الأمير ميجيل : هنا؟ لقد وصلتما منذ يومين، وها هو رئيس الحرس يلفت انتباهى إلى الأماكن الخطيرة التى يتردد عليها الأمير.

إتلبـــــــينا : يا إلهى !

الأمير ميجيل : رئيس الحرس واحدٌ من الناس. إنهم يسمونه هنا السيجنورى؛ فأمير هذه الدولة الصغيرة يدفع له بسخاء لكى يحافظ على الهدوء ، وخصوصًا الأحترام الظاهرى لهذا العالم الصغير والخطير، الذى يحضر إليه أناسٌ من جميع الأنحاء ، ومن جميع الطبقات.

إتلبـــــــينا : وهل تقول إن فلورنثيو ... ؟

الأمير ميجيل : لا تخافى؛ فقد خصص السيجنورى مخبرين سريين لكى يتبعوه دائمًا ويقوموا بحمايته إذا اقتضى الأمر، لكنه شىء مخجل.

إتلبـــــــينا : نعم، إنه كذلك، أشفق علىَّ. ولم ينقصه سوى أن يكون صديقًا حميمًا للوثنتى، ذلك الشَّاعر نصفه

إنجليزى، والنصف الآخر إيطالى؛ فهو رجل خبيث، بلا أخلاق. اللورد سايمور وزوجته مستاءان من رؤيته هنا .

الأمير ميجيل : هذا صحيح، لقد لاحظت ذلك ... لكنى كنت أعتقد ... سأعرف كنه الأمر. سيدتى، لقد أخبرونى توًا أن وجود هارى لوثنتى يسوؤك ولا يريحك.

ليدى سايمور : فعلاً، لا أحد يستقبل هذا الرجل فى بيته.

الأمير ميجيل : معذرة. قد بدا لى أنى رأيت سعادتك تتكلمين معه بالأمس فى الكازينو.

ليدى سايمور : وتكلّمت معه مرات كثيرة، ولكن ليس أمام زوجى أبدًا .

الأمير ميجيل : لكنى قد رأيت زوجك أيضًا يتكلم معه بمودة شديدة.

ليدى سايمور : بالتأكيد، لكنه لم يكلمه أمامى مطلقًا .

الأمير ميجيل : اللياقة الإنجليزية أكثر تعقيدًا مما كنت أتخيَّل.

ليدى سايمور : إنَّه الوقار.

رينالدى : (الليوناردو) لست بمزاج جيد كى تستظرف على حسابى ... فأنا حزينة ، حزينه جدًا ... فأنت لا تعلم كم أنا حزينة.

ليـــــــوناردو : كيف لا أعلم وأنت مُصرة على إخبارى بذلك.

ريـــنــــالـــدى : الفنانون يصـورون كل شىء فـهم خطيـرون للغـاية؛ لأنهم يبوحون بكل أسرارنا للعامة.

ليـــــــوناردو : فـأنا نـحات. ولكى يتمكن فنى من إفشـاء أسرارك للعامة ! ...

تخيلى! فن تشكيلى. على فكرة ، ستكونين كالملكة جونو[1] البديعة.

ريـــنــــالـــدى : لقد قلت فى يوم سابق إنى سأكون كآلهة الحكمة مينيرف.

ليـــــــوناردو : وفى يوم آخر سأقول إنك كإلهة الجمال فـينوس؟ فهناك أيام لجميع الآلهة.

ريـــنــــالـــدى : هناك أخريات سيكنَّ موديلات سيئات.

ليـــــــوناردو : أعتقد ذلك !

ريـــنــــالـــدى : يجب أن أحذرك من أننى لا أرتدى كورسيه، فقط قطعة ملابس داخلية على الطراز الإغريقى.

ليـــــــوناردو : تلك الأسـرار أهيمن عليـها، فـأنا كنت قد طلبتـها روحيًا.

(١) جونو : ملكة السماء فى أساطير الرومان .

رينالدى : فيم فكرت أنا عندما أتيت الليلة هنا؟

ليوناردو : وما يدرينى ! ربما لأن الأمير قد دعاك للطعام، كما هو حال الجميع هنا، احتفالاً بوصول زوجة أخيه الأميرة أليخاندرا إتلبينا وولدها الجليل الأمير فلورنثيو، الإمبراطور المحبط.

رينالدى : دعاني؟ بالعكس، لقد أتيت من أجل ذلك؛ لأنى لم أكن مدعوةً.

ليوناردو : كيف ذلك؟

رينالدى : يبدو أنهم يعتبروننى من الطبقة الدنيا . أنا السبب فى ذلك، فلقد قدمنى السفير للأمير فى باريس رسميًا . ولكن هنا ، بعيداً عن كل آداب اللياقة، تأتى الواحدة لتلهو، لتغير من حياتها، وتتعامل مع كل الناس : الكازينو، السباقات ، صيد الحمام؛ فهى أرض محايدة كباريس ، وفى أىِّ مكان من هذه التقيت بالأمير مع ... مع ...

ليوناردو : مع إيمبريا.

رينالدى : هل كان يجب ألاَّ أسلم عليه؟ ياللسَّخافة ! فأنا لست كليدى سايمور، التى لا تصافح رجلاً موهوبًا وفنانًا من وطنها أمام الناس كهارى لوثنتى.

ليـــــــوناردو : نعم ، إنه شيء سخيف.

ريـــنـــالـــدى : فى إيطاليا، الفن والجمال شيئان مقدَّسان، لقد قال حبرٌ، بخصوص بنفنوتو ثلينى[1]، إن الفنانين أمثاله يجب أن يكونوا فوق كل القوانين؛ فأنا لم أتوقف عن التعامل مع صديقة الأمير، ولم أحرم نفسى من حضور الحفلات بفيلَّته، ولا من البقاء هنا عند مجيئها، وفى بعض الليالى تمتد السهرة بين المقربين إلى ساعات متأخرة من الليل، كانت أكثر الليالى بهجة، لكن الأمير قد قابل لطفى بالنكران؛ لهذا تجرأت فى الحضور بدون دعوة... فالأمير، بطبيعة الحال، لم ينتبه إلى ذلك، ولكن الأميرة استقبلتنى ببرود.

ليـــــــوناردو : إنهم يؤكدون أنها متشددة فى أمور الأخلاق، لا تقبل أن يحيط بها سوى عمالقة الفضيلة.

ريـــنـــالـــدى : وعمالقة القبح أيضًا، مثل هذه السيدة الشريفة ابنة دوق سوابيا؛ فهى شابة أكثر رومانسية من الأميرة، وهى مع كل تشددها، لديها شىء خاص فى البيت لمتعة الأمير فلورنثيو كيلا يثير الفضائح

(١) بنفنوتو ثلينى : نحات قديم (١٥٠٠- ١٥٧١).

حول البلاط الملكى لسوابيا.

ليــــــــوناردو : يا له من أمـيـر مـسـكين! إنَّه ظريفٌ جداً؛ فـهـو ذو حس فني راقٍ، لا يكل ولا يمل من ملاحقة الجمال.

ريــنــــالــــدى : لقد تجاوز الحدود فى ذلك! ألم يكن حبيباً ولهاناً لإيمبريا قبل عمه؟

ليــــــــوناردو : هذا ما يقوله الناس.

ريــنــــالــــدى : وبعد حضرتكم...

ليــــــــوناردو : أنا لم أكن أبداً حبيبها؛ فقد كانت موديلاً لا أكثر؛ فهى مدينة لتمثالى باسمها، لقد تعرف عليها الأمير فلورنثيو فى مرسمى الخاص بروما.

ريــنــــالــــدى : وتركتك... بدون موديل. كما ترى فأنا أقتنع. لقد مرضت من الحزن.

ليــــــــوناردو : من الملاريا.

ريــنــــالــــدى : لقد غيرت حياتك بالكامل، وعانى فنك من التغيير، هل بالفعل كسرت كتلة هائلة من المرمر أُعدت لنحت تمثال عملاق يُسمَّى "انتصار الحياة"؟ إنه عمل عبقرى، لو لم يكن الأخير، لكان لدى إيطاليا فنانان يسميان ليوناردو ومتساويان فى العظمة.

ليــــــــوناردو : ليوناردو ! إنكِ لا تعرفين كيف أثَّر فىَّ هذا الاسم

منذ ولدت؛ فقد كان فألاً حسنًا، لقد أطلق أبى علىَّ هذا الاسم بسبب حبه الشديد لدافنشى[1]؛ فلقد كان أبى محبًا لكل ما هو جميل، شديد الحب للفنانين الكبار... ياله من رجل عظيم قد أجبرنى منذ صغرى على أن أحلم بالعظماء ! لكن عملاً مثاليًا عظيمًا يمكن تحقيقه إذا تجزأ إلى أجزاء صغيرة كما ترين؛ فإننى شكلت من تلك الكتلة المرمرية من كارًارا التى كان ينبغى علىَّ أن أنحت منها تمثالى المنشود، هذه التماثيل التى رأيتيها فى المعارض وواجهات المحلات، فى البداية، ثم بعد ذلك فى الصالونات الصغيرة الأنيقة والجميلة؛ فالجمهور يحتفى بها وتُباع بشكل جيد. فبدلاً من توهج الإلهام فى عمل واحد فقط ضخم؛ فهناك وميض من الجمال الفنى فى كل تمثال من هؤلاء؛ فبدلاً من أثر فنى يقوم بتخليد حدث تاريخى ويتكلم عن روح شعب بأكمله، التحفة الفنية التى تقوم بتثبيت مصباح كهربائى أو تستخدم لحمل

(١) ليوناردو دافنشى : الرسام الإيطالى .

الأوراق... ! وسوف يعتقدون أنى بذلك أحقق غايتى الفنية ، وسيحكمون على روحى من خلال أعمالى! سيرون سهلاً مليئًا بالرمال، ولكنهم لن يفهموا أنه كان جبلاً انهار فى جزئيات صغيرة!

رينالدى : وعندما يكون الهدف هو الحب، كما فى حالتى؟!

ليوناردو : ها أنت تعلمين السر، حطمى كتلة تمثالك المنشود واسعدى بالتماثيل الصغيرة.... حبى فى كل واحد من التماثيل ما كنت ستحببينه فى تمثال واحد كبير.

رينالدى : فليس سواء أن أقول: أحببت كثيرين ، وأن أقول أحببت كثيرًا، احكم أنت بنفسك، قد حطمت المرمر، لكنك هل نسيت موديلك إيمبريا؟ ولماذا أنت هنا إذا إن لم يكن من أجلها؟

ليوناردو : فكلنا هنا من أجل شىء ما.

رينالدى : من أجل شىء لا نصرح به؛ فمن المؤكد أننا جميعًا نسعى إلى الهروب من حياتنا؛ فهى حياة مفروضة علينا بسبب وضعنا الرسمى فى العالم... ولهذا جئنا إلى هذا المكان الملىء بالاختلاطات وفيه يُراقب ويُلاحظ كل شىء، لكننا نتفق جميعًا على

أننا لا ندرى شيئًا. انظر: وجود الأميرة هذه الليلة يفرض علينا الاحترام، ونحن جميعًا نشعر بالملل ومستائين؛ فنحن كالذى يشرد بتفكيره إلى المكان الذى يريد أن يوجد فيه بجسده وروحه.

ليـــــــــوناردو : فإننا نمر بالحياة كأننا أشباحٌ لأنفسنا... نعتقد أننا نعرف الذين يمرون بجوارنا ولا ندرى شيئًا عما فى أنفسهم.

الأمير فلورنثيو : (لهارى لوثنتى) سأصطحب أمى حينما تريد الانصراف، لا أريدها أن تقلق بشأن صحتى، سأقول لها: إننى سوف أنام، وسأخرج فى الحال للبحث عنك، هل سيحضر هؤلاء النَّاس؟

هارى لوثنتى : سنذهب إلى المسرح للبحث عنهم، ألا تعرف المسرح الجديد الذى يخص السيد خاكوب؟ إنَّها صالة موسيقية رائعة، ذات ذوق يرثى له، ولكنها مسلية جدًا، ومع ذلك فهى ذات طابع متدنٍ مقارنة بالخُصِّ القديم المجاور للميناء الهائل بجمهوره من البَّحارة وعمال الشحن الذين ذُهلوا للغاية عندما كانوا يرون من حين إلى آخر سيدةً عظيمة تحب المغامرة، لكن يوجد هناك الآن مطعم ثيكو، زهيد

الأسعار، فهو نفس مطعمه القديم بزبائنه المألوفين ولكن مع بعض الإصلاحات؛ فالشخص الأجنبى الذى يخاطر بالذهاب إلى هناك سيشاهد جميع العروض: رقص شعبى، ومبارزة بالمدى، واستعراض رجال الشرطة، وكل ذلك إخراج ثيكو.. ولكنها الحقيقة ذاتها.

الأمير فلورنثيو : يمكننا أن نتناول العشاء هناك مع هؤلاء الناس؛ فذلك أفضل من ذلك المطعم الليلى.

هارى لوثنتى : إنه أكثر تسلية، سننبه على إلغاء العرض هذه الليلة، هذا بيننا (يستمرون فى الحديث)

رينالدى : (لليوناردو) أنت على صواب، كان يجب علىَّ من قبل أن أعتبرك صديقًا، ولكن صداقتك بالأمير جعلتنى أشكُّ، يمكن أن يعود زوجى سفيراً فى سوابيا، ولا أريد أن يُذاع شىء عن ذلك، وإلاَّ كنت سأخطر رئيس الحرس.

ليوناردو : السيجنورى؟ على الإطلاق. لولاه لكان هذا المكان فردوسًا؛ فإنه يعمل على أن يجمع هنا كل شتاء أكثر الأوغاد وجاهة، وذلك ليبرر مرتبه وبعض العلاوات غير المباشرة التى يحصل عليها، ولكن لا

تخافى، سأتكفل أنا بهذا الموضوع... هل قلت إنَّه يعمل فى صالة الموسيقى؟ بهلوان؟ رجل وسيم فظ؟

ريـــنـــالـــدى : إنَّه فظٌ جداً، لكنه مدهشٌ... أنت فنان، وتفهم كل شىء.

ليـــــونـاردو : وتقولين إنَّه يهددك باستمرار بإثارة فضيحةٍ؟

ريـــنـــالـــدى : دفعت له أكثر من خمسة آلاف فرنك.

ليـــــونـاردو : هذا شىء فظيع! لقد كنت ضعيفةً.. مرتين.

ريـــنـــالـــدى : لا تقل شيئًا لأحدٍ....

ليـــــونـاردو : أنا، لا، لكنى كنت أعلم، ولا تعتقدى أنهم عرفوا منىِّ ما أخبرونى به من قبل.

ريـــنـــالـــدى : هل يقال ذلك؟ هل هذا معروف؟

ليـــــونـاردو : لا تخافى. لقد حدث الشىء نفسه لليدى سايمور مع سائس الخيل، وها هى هنا محاطةٌ من جميع الموجودين بالمخيم البريطانى، بدون أن تتكرم بتوجيه كلمة واحدة لك طوال الليلة؛ فقد لاحظت هنا أن الكثير من الأشخاص يظهرون عدم مبالاتهم بشخص ما، ليس بسبب ما يعرفونه عنه، بل بسبب ما يعرفه هو عنهم.

ريـــنـــالـــدى : لذلك يجب أن يقول الإنسان كلَّ ما يعرفه لجميع

النَّاس. ليس عن سوء قصد، بل بالعكس: لكى يتعلموا الحنو والتسامح؛ لكى يُرى أننا جميعًا من الطين الهش نفسه، وبعد كل ذلك، تتكون الفضيلة من الرذائل التى لا تنطوى عليها أنفسنا. إذا كان من الفضيلة عدم أكل التفاح، لكنت أنا حواء، ولما عانى الناس، لكن ليس لأنى لا يمكننى رؤية التفاحة، بل لأنى لم يحدث أنْ اغتبت الذين أكلوها، فلديهم مبرراتهم.

ليوناردو : فكل له مبرره، حتى الجنون.

إتلبينا : (نهضت) سننصرف. لقد تأخر الوقت (للأمير ميجيل) ستتناول معنا الغداء غدًا؟

الأمير ميجيل : بكل تأكيد، سوف نكتب للإمبراطور.

الدوق : (للخادم) عربة صاحبة السمو، أيُّها السادة، ستنصرف صاحبة السمو.

إتلبينا : ليلة سعيدة للجميع أراكم على خير يا أصدقاء... سيدتى...، ستحتلين دائمًا المكانة نفسها من قلبى.

ليدى سايمور : شكرًا يا صاحبة السمو.

إتلبينا : كونتيسه... (لليوناردو) فنانى العزيز ستحتل أعمالك دائمًا مكانًا مميزًا فى منزلى. هل تعمل

كثيرًا؟ فأسلوبك الجديد ساحرٌ. لا تزدرى أن تزخرف بفنك آلاف الأشياء التى سُلمت للصناعة السوقية كما فعل الفنانون العظام فى العصور السابقة. سادتى...

الأمير فلورنثيو : (لهارى) لا تتأخر.

هارى لوثنتى : سأصل قبلك، إلى اللقاء.

الأمير فلورنثيو : عمى العزيز، إلى اللقاء غداً.

الأمير ميجيل : اعتنى بصحتك، ولا تُحزن والدتك.

الأمير فلورنثيو : أنت ترى حياتى؛ فلن أخرج طوال الليلة.

إتلبينا : هذا ما وعدتنى به. (تخرج الأميرة إتلبينا، والأمير فلورنثيو، ودوق سوابيا، وأديث والأمير ميجيل)

المشهد الثانى

الكونتيسة، ليدي سايمور ، ليوناردو ، اللورد سايمور ، هارى لوثنتى ، ثم بعد ذلك الأمير ميجيل .

رينالدى : الأميرة تحافظ على نفسها جيداً.

ليوناردو : إنَّها ما زالت شابة.

ليدى سايمور : فهى تعيش حياة تتسم بالتقشف والزهد؛ فهذه الحياة تليق بالفقراء.

ريــنــالــدى : فهى ذات شعبية فى سوابيا.

ليــونــاردو : أعتقد أن البلاط الملكى قلق بشأن الفضيلة التى تتمتع بها الأميرة أكثر من قلقه بشأن فسق والدها؛ لهذا نصحاهما بالسفر.

لورد سـايمور : فأنا لا أهتم بأمور الآخرين.

ليــونــاردو : يا سيدى اللورد، كانت تتكلم من أجلى فقط؛ فنحن الفنانين لدينا هذه العادة.

لورد سـايمور : إنها عادةٌ سيئةٌ. (لليدى سايمور) سأرافقك. أين ستقضين السَّهرة؟

ليـدى سـايمور : فى فيلاًّ ميراندا؛ فهناك موسيقى ممتعة.

الأمـيـر مـيـجـيل : (يدخل من جديد) ستسر الأميرة بصحبتك اللطيفة.

ليـدى سـايمور : فإلى جوارها كل شىء لطيف. إلى اللقاء قريبًا يا صاحب السمو، هل استلمت دعوة حفلتى الموسيقية؟

الأمـيـر مـيـجـيل : فهى حفلة لا يقدر على تنظيمها سوى فنانة حقيقية مثلكِ. (يخرج كل من ليدى سايمور ولورد سايمور بعد مصافحته وقد رافقهما الأمير)

المشـهد الثالث

الكونتيسة، ليوناردو ، وهارى لوثنتى.

ريـــنـــالـــدى : أترى؟ إنَّها لم تدعنى أيضًا، هذا شىء لا يهمنى، فأنا لا أحتاج إلى هذه الدعوة فى أى شىء.

ليــــــوناردو : بالطبع، ستحضرين بلا دعوة.

ريـــنـــالـــدى : كن متأكداً من ذلك.

هـارى لـوثـنـتـى : لا تسمحى لنفسك بهذه الحرية مع سيدة إنجليزية؛ فإنك تخاطرين بإفراط.

ريـــنـــالـــدى : سـوف أحـضـر هذه الحـفلة ممسكة بذراع أحـد سائسى خيلها.

هـارى لـوثـنـتـى : ليس من اللائق أن تتكلمى عن أمور الآخرين.

ريـــنـــالـــدى : آه! أنت تدافع عن مـجـتمعك المنافق بعد ما كنت واحداً من ضحاياه.

هـارى لـوثـنـتـى : أنا لا أشـتكى؛ فـأنا أفـعل مـا أريد، وهـم يفـعـلون ما يشاءون. أنا أفتضح إنجلترا، والعالم كبير للغاية.

ريـــنـــالـــدى : وتفتضح العالم أيضًا.

هـارى لـوثـنـتـى : إنَّه عـالمٌ أحمقٌ، لو كان الشـخص يعيش من أجل العالم...هل تعيش من أجل العالم؟

ليــــــوناردو : إن الكونتيسة تعيش من أجله، وهى سعيدةٌ جداً.

ريـــنـــالـــدى : إننى أهتم كثيراً بالرأى العام.

ليــــــونـاردو : هذا معروف.

ريـــنـــالـــدى : بدون سخرية.

ليــــــونـاردو : جدّيًا، عجبًا إنَّه معروف ! إذن أو لم يقلقكِ ! ...

هـارى لـوثـنـتـى : سأنتظر الأمير فلورنثيو.

ريـــنـــالـــدى : فهو صديقك العظيم... لو أصبح ملكًا، لأصبحت جواره شخصًا مهمًا مثل...

هـارى لـوثـنـتـى : مهرجُ، هل هذا ما تريدين قوله؟

ريـــنـــالـــدى : إنك حزينٌ جدًا، لا تصلح أن تكون مهرجًا.

هـارى لـوثـنـتـى : فالمهرجون الإنجليز هذا شأنهم، بوسعهم أن يكونوا رجال دولة فى بلادٍ أخرى.

ليــــــونـاردو : إن المهرجين حزينون دائمًا؛ فالضحكة هى أكبر شىء يخفون وراءه أحزانهم، تبكى على من لا يزال حيًا، على من لا يزال يتألم، وعلى من لا يزال يتذكر، وعندما يُسخر من شىء، من حب، إيمان، وهم أو من ذكرى فالسخرية تعنى أن هذا الشىء قد مات بالفعل. إن مهرجى شكسبير أكثر مأساوية وحزنًا من مسرحياته التراجيدية. فقد تضاءل هاملت أمام اللحادين الذين يغنون

ويضحكون بين القبور، ويحفرهم القبر بضربات فئوسهم، تقفز جمجمة المهرج يورك لكى تضحك مقترنة بتكشير قسمات وجهه الفظيعة نتيجة ضمرفكيه.. كل شيء يموت، ولا تبقى سوى الضحكة. فما هى الحياة المتجددة إلى الأبد إذا لم تكن الضحكة المنتصرة التي يتغلب الحب بها على الموت؟

رينالدى : لكن الموت هو نهاية كل شيء...، وبعد ذلك...

هارى لوثنتى : وبعد ذلك الجحيم، من حسن الحظ لديكم فى إيطاليا جحيم جميل، هأنذا أراكِ يا كونتيستى العزيزة فى الدائرة نفسها مع فرانسيسكا، فى أفضل مجتمع كعادتك.

رينالدى : لا تمزح بهذه الأشياء؛ فأنا مؤمنة وآمل فى النجاة.

ليوناردو : ولِمَ لا ؟ فتقريبًا كل حياة الرهبان الأكثر مثالية لها جزآن، وأنت ما زلتى فى الجزء الأول.

رينالدى : فلندع الكلام فى هذا، لو علمتم الليالى التى قفزتُ فيها من السرير صارخةً، أكاد أجنُّ من الرعب؛ لأنى قبل أن أنام استحوذت علىَّ فكرة الموت ! وفى مرَّات أخرى، فى يوم من أيام الأضواء،

والحفلات، بين الجموع المسرورة، أفكر أنَّ هؤلاء
الناس لن يكونوا موجودين خلال بضع سنوات،
فإنَّهم لابد أنْ يموتوا جميعًا...، وأحس برغبة فى
الصراخ كما لو كان هناك خطرٌ قريبٌ يهددهم،
ويقع على شيء كستار من الصمت والظلام...
قضيت أوقاتًا عصيبة جدًا، واستشرت الأطباء.

ليوناردو : وماذا قالوا لكِ؟

رينالدى : أن أتسلى، وأن أنام دائمًا فى النور، وبالقرب من النَّاس.

ليوناردو : إنَّه علاج بسيطٌ ، ولن يمسَّ الحياة.

المشهد الرابع

السابقون، والأمير ميجيل ، والسيجنورى .

سيجنورى : سيدتى! آه ! الكونتيسة ، لم نركِ منذ وقت طويل، ولكن هذا ليس سببًا لنسيانك.

رينالدى : السيد رئيس الحرس لطيف جدًا؛ كلما أردت رؤيتك كان ذلك دائمًا لأشياء بغيضة، وذلك عندما سُرقت مجوهراتى.

سـيجنورى : آه ، آه ! لن تشتكى منى، عندما بدا لسيادتك سماع ضوضاء تحت الأرض فى فيلّتك... وعندما أراد ذلك النصاب المشهور فضحك إظهار هذه الخطابات ...

ريـنـالـدى : لقد كانت خطابات مزورة...

سـيجنورى : وعندما وصلت لأناس من خيرة المجتمع بعض الرسائل الشهيرة المجهولة التى تشير إلى فظائع حياتك... فأنا دائماً مستعد لخدمتك وحمايتك.

ريـنـالـدى : شكراً سيجنورى (لليوناردو) لا أتذكّر اسمه أبداً.

ليـونـاردو : ولمَ لا تستخدمى اسمه الحقيقى، وكل الناس يعرفونه ، ينادونه السيجنورى... لكى لا يلتبس عليك الأمر؟

الأمير ميجيل : لم أكن أعرف أنّ الكونتيسة إحدى أفضل زبائنك.

سـيجنورى : إنّه أمرٌ مخيف... سرقة المجوهرات وبلاغ هائل لكى اعتبرها أصلية. لقد كانت مزيفة تم تقييمها بثلاثة ملايين فرنك، أما الرسائل المجهولة فقد كانت تكتبها بنفسها لكى تبدو فى أعين الناس عرضة للافتراء.

الأمير ميجيل : فهى فى غاية الظَرف.

سيجنورى : ولكنها خطيرة جداً.

ريناالدى : (لليوناردو) فأنا يزعجنى السيجنورى، دائمًا يلقى التحية بلهجة غامضة، كما لو كان يصنع معروفًا للشخص بالحفاظ على سره.

ليوناردو : إنه يحتفظ ببعضها، ويقول إنه يفكر فى نشر مذكراته.

ريناالدى : ينبغى أن نستحوذ على الطبعة بأكملها... هل سترافقنى؟

ليوناردو : هيا بنا.

ريناالدى : ألا يهمك انتظار إيمبريا؟

ليوناردو : كلا، لنذهب وقتما تريدين.

ريناالدى : صاحب السمو، شاكرة لدعوة سموك الرقيقة.

الأمير ميجيل : هل ستنصرفين الآن مبكرًا؟ من المنتظر أن تصل إيمبريا بين لحظة وأخرى، فهى تعلم أننا أصدقاء حميمون ...

ريناالدى : لقد قررت ألا أكون صديقتك الحميمة، فإنك ناكرٌ للجميل . لقد كنت أعتقد أنَّه لا يوجد فاصل بين فيلا إيمبريا وفيلا سعادتك سوى حديقة وباب صغير... لكنى لاحظت أنك أقمت جدارًا لا يمكن اجتيازه.

الأمير ميجيل : لا تكونى حقودة. لم يكن ذنبى؛ فالأميرة إتلبينا تسمح لأناس قليلين بمودتها.

رينالدى : إنه قرارٌ حكيمٌ جداً، سأقوم بتقليدها. إلى اللقاء يا صاحب السمو.

هارى لوثنتى : سأذهب أنا أيضًا يا صاحب السمو.

الأمير ميجيل : أيُّها الشاعر الشيطانى، المرشد لطريق الجحيم مثل فيرخيليو، اعتنِ بالأمير فلورنثيو؛ فصحته ضعيفة جداً.

هارى لوثنتى : سأعتنى به مثلك تمامًا يا صاحب السمو، لقد انتزعت منه حبيبته من أجل مصلحته، وسأفعل ذلك كلما استطعت.

الأمير ميجيل : سادتى... (تخرج الكونتيسة، وليوناردو، وهارى)

المشهد الخامس

الأمير ميجيل، والسيجنورى

الأمير ميجيل : ولمن أدين بالفضل فى أن أسعد برؤيتك هنا يا سيجنورى؟

سيجنورى : إنها المهمة الصعبة التى أقوم بها من أجل إسعاد

الأمير لا أكثر. يمكنك تصديق ذلك، فأنا مضطر لمضايقات بغيضة.

الأمير ميجيل : فأنت لا تزعجنى على الإطلاق.

سيجنورى : لا؛ فأنا المُزْعَجُ: تصوَّر سموك أنَّه فى سوابيا يراقب، بارتياب، وجود أميرين من الممكن أن يكونا وريثى عرش الإمبراطورية.

الأمير ميجيل : إلى اللقاء. اقرأ، ألم يصلك النبأ؟

سيجنورى : أمير لولاية العهد... إنَّه أمر يسعدنى...؛ آسف لسموكم... لكنه أمر أسعدنى بالفعل.

الأمير ميجيل : لا تكترث بى؛ فأسعد أو أحزن...، كما تشاء.

سيجنورى : لقد سعدت لأنهم كانوا يخشون قيامكم بالتآمر، وكنت أنا مسئولاً عن مراقبة سموكم، وأما أنا فأعرف سموكم ، وأعرف كنه الحياة التى تعيشها هنا...

الأمير ميجيل : من أجل ألا أكون إمبراطوراً كنت سأتآمر طوال حياتى. هل تعتقد بإمكانية استبدال حريتى بالإمبراطورية؟

سيجنورى : لا تصر... هل كنت سأقوم بتحذير سعادتك لو لم أكن متأكداً؟... حكومة سوابيا تحلم بالمؤامرات.

يوم اعتداء ويوم آخر تمرد؛ ففى الموسم الماضى اضطررنا لمراقبة رجل بلجيكى يشتبه فى كونه فوضويًا، كان يعيش بطريقة غريبة فى كوخ من الخشب بناه بنفسه، وبالفعل كان يستقبل بمنزله إناسًا شديدى الغرابة رثة الثياب. كنا قد اعتقدنا أننا عثرنا على مركز مخيف. بدأنا فى مباغتتهم، ولكن اتضح أنه مصور مناظر سينمائية. فقد كان كذلك! أيَّة مناظر!... فالعملية كانت اعتداءً على العادات الطَّيبة؛ فأنا مازلت أحتفظ بهذه الأفلام. إذا أردت فى يوم ما أن تقدم عرضًا مثيرًا للفضول لأصدقائك المقربين سأعيركم إيَّاها بكل سرور.

الأمير ميجيل : شكرًا؛ يمكنك أيضًا أن تفاجئنى هذا اليوم معتقدًا أنَّى كنت أقوم بمؤامرة.

سيجنورى : طوال عملى لم أُفْشِ سرًا أبدًا.

الأمير ميجيل : ولابد أنكم تعرفون شيئًا.

سيجنورى : لدى مفتاح الكثير من الأحداث التى يمكن تفسيرها!... تعرف الغالبية العظمى من النَّاس شيئًا من الحياة، على سبيل المثال فى المسرح يعرف النَّاس المشهد، أمَّا المسرحية الحقيقية وراء

الكواليس.

الأمير ميجيل : على فكرة الأمير فلورنثيو...

سيجنورى : أنَّه مراقب دائمًا على الرغم من أنَّه فى بعض الأحيان تصعبُ مراقبته؛ فذلك الإنجليزى يعرف بعض الأماكن والنَّاس... سيكون رجل شرطة ممتازًا.

الأمير ميجيل : فأنت شخص لا يمكن الاستغناء عنه.

سيجنورى : أحقيقة ذلك؟ لا يمكن الاستغناء عنه. أودُّ رؤية برج بابل؛ ذلك المكان الذى يبدو به كل شىء هادئًا ولطيفًا وفى متناول أىِّ شخص... لأن الصَّعب فى مهنتى لا يكمن فى عدم معرفة ما أريده، بل فى تجاهل معرفة ما لا أريده. أنا تحت أمركم يا صاحب السمو، وأرجو الصفح عنى لارتيابى فى سموكم.

الأمير ميجيل : لقد صفحت عنك (يخرج السيجنورى، نزلت إيمبريا سلَّم الصالة أثناء نهاية المشهد)

المشهد السادس

إيمبريا والأمير ميجيل

الأمير ميجيل : إيمبريا ! كيف حالك؟ لم نلتقِ طوال اليوم؛ فلم يكن لدى وقت فراغ.

إيمبريا : وأنا أيضًا كان لدى ضيوف.

الأمير ميجيل : ها أنا أرى ...

إيمبريا : لا ، ليس لذلك. فأنت تعلم أنى لا أتأنَّق من أجل الآخرين ، ولكن إرضاءً لنفسى. يروق لى أن أرى نفسى هكذا بملابسى أنيقة؛ ألم يُرِد أصدقاؤك انتظارى؟

الأمير ميجيل : كل منهم لديه خطة لقضاء هذه الليلة. لقد غضبت منى الكونتيسة. لم يبدُ لى مناسبًا دعوتها.

إيمبريا : وها هى قد اعتبرت نفسها مدعوةً. أحسنت صنعًا ؛ فأينما تحضر ليدى سايمور وهارى لوثنتى يمكن للكونتيسة الحضور؛ فرؤياكم بغيضة ...

الأمير ميجيل : ففى المقام الأوَّل، ما يُشاع عن السيدة سايمور ليس معلومًا . أمَّا فيما يتعلق بالشاعر فهو صديق للأمير، وهو فنان.

إيمبـــــــريـا : الكونتيسة من هذه النوعية؛ فهى فنانة أيضاً.

الأمـيـر مـيـجـيل : إنها مجنونة؛ فهى متيمة هذه الأيام ببهلوان ، ولا تسعد بالحضور إلى السيرك فقط كل ليلة، بل تدخل إلى صالة استراحة الممثلين وتتكلم معهم.

إيمبـــــــريـا : نعم. لقد رأيتها هناك فى بعض الليالى.

الأمـيـر مـيـجـيل : أنتِ؟ هل تذهبين إلى السيرك؟

إيمبـــــــريـا : نعم ، منذ أربع ليالٍ دون أنْ تفوتنى ليلة واحدة.

الأمـيـر مـيـجـيل : لم تخبرينى بشىء.

إيمبـــــــريـا : إنك لم تسألنى عن شىء.

الأمـيـر مـيـجـيل : وأىُّ فعل جنونى...؟

إيمبـــــــريـا : ليس جنوناً. لقد ذهبت لرؤية ابنتى.

الأمـيـر مـيـجـيل : ابنتك؟ ومن هى تلك الابنة؟ لم أكن أعلم...

إيمبـــــــريـا : إنك لم تسألنى قط. ماذا تعرف عن حياتى؟ ما قاله لك الآخرون، وهم أيضاً لا يعرفون شيئاً. كل ما كنت أريد إخبارك به هو أن أذكر الحقيقة دائماً.

الأمـيـر مـيـجـيل : وهذه الابنة...؟

إيمبـــــــريـا : إنَّها ابنة الرجل الوحيد الذى أحببته.

الأمـيـر مـيـجـيل : أشكرك.

أيمبـــــــريـا : ومازلت أحبه، وسأحبه إلى الأبد!

الأمير ميجيل : وأين هو؟

إيمبريا : فى السجن، قد خُفف عليه الحكم من الإعدام إلى السجن مدى الحياة.

الأمير ميجيل : حادث شاعرى!

إيمبريا : قتل رجلاً أجنبيًا فى روما ليسرقه؛ فقد أمضى ثلاثة أيام بدون طعام. ونحن الموديلات لم نكن نكسب شيئًا، وقد أصابت الملاريا الفنانين بالهلع من روما.

الأمير ميجيل : وهل كنتِ تعيشين معه فى ذلك الوقت؟

إيمبريا : لا، كان يعيش مع والدته. وأنا مع والدىَّ وإخوتى وابنتى. لقد كان لأبى كوخ على ضفة النهر: نصفه فندق ونصفه الآخر مسرح. فكان يحتاج إلينا جميعًا، كنا نعمل بالنهار كموديلات وبالليل كنا نرقص تارانتيلا(١) فى الكوخ، ونغنى أغانى إيطالية. وكان ليوناردو مضطرًا لدفع خمسمائة ليره لوالدى كى يتركنى أعيش معه.

الأمير ميجيل : إيمبريا ! هذا أمر فظيع!

إيمبريا : هذه هى الحقيقة. ماذا كان سيفعل والدى؟ كان

(١) تارانتيلا : رقصة إيطالية .

لابد أن يعيش.

الأمير ميجيل : وابنتك كم تبلغ من العمر؟

إيمبريا : أربعة عشر عامًا. كنت أنا فى الخامسة عشرة حينما ولدتها.

الأمير ميجيل : وماذا عنها طوال هذا الوقت؟

إيمبريا : هناك مع والدىَّ.

الأمير ميجيل : ألم يخطر ببالك أن تعيش إلى جوارك؟

إيمبريا : لماذا ؟ لقد كنت أرسل نقودًا لكى لا ينقصها أىُّ شىء. إنها هناك أفضل بكثير. أمَّا أنا فقد ذهبت عدة مرات. أما الإتيان بها إلى هنا...

الأمير ميجيل : والآن؟

إيمبريا : لقد أرسلوا لى أنها تحب شابًا.

الأمير ميجيل : وهى فى الرَّابعة عشرة؟ ما هذا النُّضج المبكر!

إيمبريا : فى إيطاليا، لا، لسنا مثلكم؛ فهو شاب يرقص فى المسرح أيضًا ، وقد هربت معه.

الأمير ميجيل : عظيم!

إيمبريا : وهما هنا الآن متعاقدان مع المسرح الجديد للسيد خاكوب. دونينا، فهى تسمى دونينا كما كنت أُسَمَّى فى منزلى؛ فهى نجمة الفرقة، وهى ليست جميلة

ولكنها ظريفة...، إنها ظريفة، كما كنت أنا...، مثل ماكنت سأكون عليه أنا. أما الشاب فهو جميل، "إنه جميل! إنه جميل!" فهو ملاكٌ. ولكنه وغد مكارٌ. فالنساء تتصارع عليه، ودونينا يائسة وغيورة، غيورة مثلى فى شبابى، مثلى تماماً.

الأمير ميجيل : لكن، إيمبريا! يا للقشعريرة التى أحس بها للاستماع إليكِ! هل سمحتِ بذلك...؟ أنتِ؟...

إيمبريا : ماذا؟ ابنتى تحب رجلاً ويائسة من حبها له وتعانى بسببه! هذه هى الحياة! لقد قلت لها: "هل تحبين المجىء معى والحياة فى بيت جميل...، وبملابس أنيقة مثل هذه؟" ولم ترد؛ فهذا شىء طبيعى: فهى لا تشعر بعاطفةٍ تجاهى.

الأمير ميجيل : ألا تحب والدتها؟ هذا شىء فظيع!

إيمبريا : إنَّها الحقيقة. ولِمَ يجب عليها أنْ تحبنى؟ لقد تركتها وهى ابنة عامين: كانت تعلم أننى فى مكان بعيد، وأنى كنت أرسل لها هدايا وقبلات... فى الخطابات...، سيقول إخوتى لها أشياء فظيعة عنِّى...ووالدى، لأنهم بالطبع يعتبرون دائمًا أن ما كنت أرسله غير كافٍ.

الأمـيـر مـيـجـيل : وهل يمكن العيش هكذا؟

إيمبـــــــــريـا : ولمَ؟ إذا كنا نحب بعضنا بعضًا، ولو قام أحد بإيذاء فرد من الأسرة ستراننا جميعًا متحدين لكى ننتقم، بدون أن نصفح عن العدو مهما مرَّت السنوات. وماذا بينكم أنتم؟... أيَّن حبكم؟

ألا يُهين بعضكم بعضًا؛ هذا شىء واضح ! ألا تتشاجرون ضربًا، ولا أحد يقدم خمسمائة ليرة عندما يحب أو يتزوج بواحدة منكم ؟

وذلك لأنَّ فيما بينكم لا شىء يبدو على حقيقته؛ لا ما تشعرون، أو ما تتكلمون ... ولكن كل شىء حقيقى بيننا، ولذلك يبدو بصورة سيئةٍ.

الأمـيـر مـيـجـيل : ربما أنتِ محقة. لم نواجه حقيقة حياتنا سوى مرات قليلة! ...

إيمبـــــــــريـا : والآن سأتركك ، سأذهب لأرى ابنتى.

الأمـيـر مـيـجـيل : أنا أيضًا أريد رؤيتها ، انتظرينى هنا.

إيمبـــــــــريـا : ولكن لا تكشف عن هويتك.

الأمـيـر مـيـجـيل : لماذا؟

إيمبـــــــــريـا : فهى تعلم أنِّى أعيش مع أمير وهى تتخيله مثل أمير روايات الجن... "جميل ، جميل".

الأمـيـر مـيـجـيل :   وسيخيب أملها. أليس كذلك؟ يا لهذا اللطف !

إيمبـــــــــــريـا :   فهذه هى الحقيقة؛ فهى ... مثلما كنت أنا، تفهم الحبَّ فقط على أنه ... مثل حبك ... حياة وسعادة وشباب.

ستـــار

الفصل الثانى

المشهد الأول

صالون الاستراحة في "صالة الموسيقى" تظهر مغارة خيالية. موائد مستديرة ومقاعد على الجانبين. رجال وسيدات يدخنون ويشربون المرطبات وهم جالسون على هذه الموائد. فتيان يذهبون ويئوبون. وفى الخلف فرقة موسيقية من الغجر.

السيد خاكوب وفنان؛ روخو - صائب جالس يشرب بشراهة.

خاكوب : (للفنان) وهذا ؟ ما رأيك في هذا ؟ سامحني : من هنا وجهة النظر .

الفنان : جميل ! ساحر !

خاكوب : لقد خطرت لي فكرة؛ فهي لا تحدث في لحظة، يمكنك أن تصدقها، هذه الأفكار لا تحدث للإنسان كل يوم. تم تحويل صالون الاستراحة إلى مغارة؛ فهي استراحة للجسد المرهق والخيال الذى أثاره منظر مبهر من المشهد. لم تر في أوروبا وأمريكا شيئًا مشابهًا؛ فهي أروع صالة في العالم؛ فهي أربعة ملايين فرنك بلا استثمار! يمكنك نشر ذلك في جريدتك.

الفنان : في ... آه، يا سيد خاكوب ! فأنا لست صحفيًا.

خـــاكـــوب : كيف! ألست مراسلاً لجريدة "بريد الملاهى" "Correo de Espectáculos" فـى مـيـلان و"مـرشـد رجال الأعمال " Monitor del Empresario فى جينوة؟

الـــفـــنـــان : أنا لم أقل ...

خـــاكـــوب : وماذا عن البطاقة التى تسلمتها فى الإدارة؟

الـــفـــنـــان : إنـهـا لـيـست لى... إنَّه خطأ... أنا فنان، فنان معروف جئت لأقترح عليكم عملاً تجاريًا لامعًا .

خـــاكـــوب : عمل تجارى...

الـــفـــنـــان : عقدى، يزكينى...

خـــاكـــوب : من أجل هذا جعلتنى أضيع ساعتين من وقتى فى أن أريك المسرح! " أذهب مع الشيطان يا ذكر البط الميت، دعنى وشـأنى." لقد ضيعت وقتى ! إن وقتى مقدس!

الـــفـــنـــان : يا سيد خاكوب، يا سيد خاكوب! ... (يخرج السيد خاكوب مسرعًا ويتبعه الفنان)

روخـو – صـائب : (منـاديًا واحـدًا من الصـبـيـة) هـل انـتـهـى الجـزء الأول؟

الـفـــــتـــى : فى هذه اللحظة، ألا ترى الناس يخـــرجــون من المسرح؟

روخـو – صـائب   خذ هذه الزُّجاجة من أمامى ، وأحضر لى أخرى. سأحاسب عليها أنا فلا تضيفها على حساب السيدة.

الفـتى : تقول السيدة إنَّها لن تدفع أىَّ حسابات أخرى؛ فقد أثارت فضيحة بالأمس.

روخـو – صـائب : أخبرها أننى سأدفع ثمن هذه، أحضر لى أخرى، ولا تتكلم أكثر وإلا كسرت رأسك.

الفـتى : سأذهب، سأذهب ...

إسـتـر : انظرى إلى مروض الأفيال.

خـوليـتـا : إنَّهُ نوع...

إسـتـر : لكى يكمل المجموعة.

خـوليـتـا : بالنسبة لى لا يُكملها، سيقضى لى عليها . إنَّه شخص منقطعُ النَّظير.

المشهد الثانى

السابقون ، وجينى، وتاباكو .

إســـــــتــــــر : آه، تاباكو، المهرج الأسود! كم يعجبنى! يبدو كالقرد!

خـــوليـــتـــا : هل هى زوجته؟

إســـــــتــــــر : نعم؛ إنَّها إنجليزية . إنَّهما متزوجان حقيقة، ولا بد أنهما يحبان بعضهما بعضًا حبًا جمًا؛ فلديهم سبعة أولاد.

خـــوليـــتـــا : أهم شُقْر ؟

إســـــــتــــــر : إلى الآن، لا؛ فهم جميعًا مثل أبيهم. ياله من شيء مخيب للآمال!

خـــوليـــتـــا : لا يوجد سوى نساء.

جـــــــيـنـى : (لتاباكو) هل ذهبت إلى بنك الائتمان؟

تـابـاكـــــــو : نعم.(يدون فى حافظة أوراق) دعنى أعُدُّ حسابى. لقد اشتريت خمسة آلاف فرنك من السَّندات التركية. إذا استطعت بيعها مثل الأسبوع الماضى،،، سأكسب مائة فرنك.

جينى : هائل جداً.

تاباكو : يجب أن تشترى ثوبًا جديداً للعمل.

جينى : لماذا؟ يالها من إضاعة للمال! هل لابد من ارتداء ثوب من حرير لكى أقوم بعمل المهرج؟

تاباكو : يرتدى الروسى واحداً كل ليلة.

جينى : والنّاس لا يضحكون أكثر بسبب ذلك .. إنه فنان مثلك...

تاباكو : الروسى؟ السيد خاكوب غبى لأنه يدفع له ستة آلاف فرنك

يبدو مبالغ فيه أن أطلب من السيد خاكوب أن يدفع لى عشرة آلاف فرنك. إنه يبحث عن شىء يبعدنى عن الجمهور، لكن الجمهور لا يضحك إلّا مع تاباكو، فإنه لا يوجد سوى تاباكو واحد فى العالم. إنه الآن يضع الروسى فى الجزء الثانى فى المكان الأفضل ، وأنا فى النمرة الثالثة من الجزء الأول. ومع ذلك يأتى الجمهور مبكراً ليرانى، وينصرف مبكراً لكيلا يشاهد الروسى. فالجمهور هو الذى يدفع للفنان وليس أرباب العمل؛ فليس الفنان هو الذى يحدد الثمن.

جيني : فالسيد خاكوب وغد ... يؤمن دائمًا بهذا الخُص.(يدخل سائس الأفيال مسرعًا.)

سائس الأفيال : يا سيد روخو، يا سيد روخو !... تعال فورًا ! إنَّ "نيرون" غضبان جدًا. قام بتكسير قضيب القفص الخاص به ولا يريد أن يرتدى ثوب العمل.

روخو - صائب : سأذهب حالاً، سأذهب حالاً! هذا لأنَّه يشعر بالحر. فالجو اليوم حار جدًا. أعطوه الجعة؛ فأنا أيضًا أحب الجعة، يا فتى !...

سائس الأفيال : فالسيدة لا تحب أن تُشرب الأفيال الجعة.

روخو - صائب : فالسيدة لا تحب شيئًا لكى لا تدفع شيئًا . أنا الذى سأدفع ثمنها. زجاجة من أجلى، ودلو من أجل الأفيال.(يدخل السيد خاكوب)

خاكوب : روخو، روخو ! ... هناك أحد الأفيال مضطرب. أحدث ضررًا بالقفص الخاص به، ضررًا يتكلف مائتى فرنك، والأسوء من ذلك أنه لايريد أن يعمل.

روخو - صائب : نعم، سيعمل، سيعمل. ياله من حيوان مسكين! إنَّه حيوان جميل، ولكنهم لا يفهمونه .

خاكوب : إذا لم تأت لتضع حدًا لذلك...

روخو - صائب : انتظر! "نيرون" لن يفعل شيئًا. أنا أفهمه، لن يفعل شيئًا؛ فلا خوف منه : إنه أكثر الأفيال السبعة رقة.

خـــاكـــوب : ولا تشرب كثيراً. سيلاحظ الجمهور كيف تخرج للعمل، وكذلك الأفيال ستلاحظ.

روخـو – صـائب : كيف أخرج أنا؟ أنا أعرف كيف أخرج.... أعرف كيفية الخروج للجمهور... غباء منك أن تقول ذلك. أنا أشرب، أشرب ....، لكن أعرف ما أشربه.

خـــاكـــوب : "فلتذهب إلى الجحيم" (روسينا وبيبيتا يوقفان السيد خاكوب)

روســـينـا : يا سيد خاكوب، هل أنت غضبان؟

خـــاكـــوب : ذلك الهندى المتوحش، بعد ما كلفنى اثنى عشر فرنكًا و طعام الحيوانات... ! لا تأكل الحيوانات ! ... ولا يستمتع الجمهور؛ فالجمهور يراه مرة واحدة، كما يراه دائمًا. يا له من عمل تجارى مربح! آه، العمل ! الذين يرون الجمهور، ويرونى هنا يقولون فقط : "آه، يا للسيد خاكوب! ياله من رجل محظوظ !" مسرح ملىء"، وتذاكر كثيرة، "المسرح محظوظ كل ليلة إلى أقصى حد،.... ولكن لا يرون ما بداخل هذا المسرح، لا يعرفون حقيقة الفنانين ، ما الإدارة ، وما العمل التجارى ؟!

روســـينـا : عجبًا ، يا سيد خاكوب، فلا يروق لى أن أراك غاضبًا، والآن أريد أن أطلب منك معروفًا...

خاكوب : خدمات، دائماً خدمات !

روسينا : إنّه من أجل هذه الصديقة.

بيبيتا : سيد ...

روسينا : لو تكرمت ، أعطها تذكرة دخول مجانية طوال الموسم... ستوافق، أليس كذلك؟

خاكوب : لكن أليس من الممكن ألا تجدا من يدفع لكما ثمن التذكرة؟

روسينا : وإذا لم يكن من أجلنا؛ فمن سيأتى إلى هنا؟

خاكوب : على العكس: لقد طردت خيرة القوم، القوم...

روسينا : لا تقل ذلك. منذ متى رأيت هنا كثيراً من الأمراء؟ إذن، هل ستتكرم؟

خاكوب : يكفى أنك أوصيتى عليها. مراً فيما بعد على الإدارة، لكن انصحى صديقتك بأن تعتنى قليلاً بزينتها.

روسينا : لقد وصلت تواً، وليس لديها أمتعة بعد... ، لكن هذه مسئوليتى...

خاكوب : من أين أتت صديقتك؟

روسينا : من مارسيليا.

خاكوب : آه! من مارسيليا! لا تقولى إنها قادمة من مارسيليا؛ فإنها ليست لوحة إعلانات.

روســــــــينـا : بالطبع، على الرغم من أن لديهـــا روح المرأة الباريسية، فإنها تفكر فى تقديم نفسها على أنها امرأة إسبانية.

خـــــاكـــــوب : فالنوع الإسباني أيضًا مستهلك للغاية، لكن، في النِّهاية، أفضل من مارسيليا...المهم أن تكون شخصية، وإلا تكون واحدة أخرى من ... هناك جاذبية في الوجة... إنها حسنة التوجيه، يمكنها الوصول ... على الرَّغم من كونه صعبًا جدًا... يا لكثرتكن! ولكن لا داعى للإحباط. أتمنى لكما حظًا سعيدًا يا فتيات، حظًا سعيدًا. لا أستطيع التوقف.

روســــــــينـا : شكرًا جزيلاً، سيد خاكوب.

بيــبــيــتــا : شكرًا جزيلاً. (خرج الأمير فلورنثيو وهارى لوثنتى من دقائق وجلسا)

روســــــــينـا : ألم أقل لك إنه شخص لطيف جدًا؟ ... انظرى، انظرى ، إنه أمير، إنه أمير سوابيا.

بيــبــيــتــا : هل ياتى هنا أمراءُ كثيرون؟

روســــــــينـا : أمراء حقيقيون ، قليلون (يخرجان وهما يتكلمان.)

خـــــاكـــــوب : (للأمير) صاحب السمو! إنه لشرف كبير لى ولمسرحى. تحت أمرك يا صاحب السمو. يا رجل ! لقد نسيت: فى الأسبوع المقبل، عروض جديدة

ومدهشة. نمرة واحدة فقط، وعشرون ألف فرنك؛
فهو عمل من صعب إلى أصعب... يا صاحب
السمو !

(يخرج بظهره مؤديًا التحية)

هـارى لـوثـنـتـى : ياله من شىء مدهش، يا سيد خاكوب!

الأمير فلورنثيو : لابد من أنك تعيش حياةً سعيدة بين فنانيك (اقترب
السيد خاكوب من السيدة جينى التى تشتغل
التريكو)

خـــاكـــوب : لكن يا مدام جينى، أيجب علينا أن نتشاجر دائمًا؟

جــــيـنـى : ولماذا يا سيد خاكوب؟

خـــاكـــوب : هل هذا المكان الملائم لكى تقومى بأشغال الإبرة؟

جــــيـنـى : أوه! أنا أعمل ما أحب ، فإنى أعمل من أجل
صغارى، ما العيب فى ذلك؟

خـــاكـــوب : يمكنك أيضًا إعداد طعامك هنا، إذا أردت.

جــــيـنـى : من الأفضل أن أفعل ... ما تفعله الأخريات.

خـــاكـــوب : أنا السبب لتساهلى فى أن يتتلمذ الفنانون على يد
الجمهور.

تـابـاكـــو : هل تقول ذلك لى؟

جــــيـنـى : من الواضح أنك غير معتاد على التعامل مع
الفنانين.

خـــــاكــــــوب : أنا غير معتاد على التعامل مع الفنانين؟

تـابـاكـــــــــو : لا ، هذا ليس مسرحًا، ليس سيركًا ...، إنما هو دار فسق!

جـــــــيـنـى : (مشيرة إلى العاهرات) هؤلاء، هؤلاء هن الفنانات اللاتى تحتاج إليهن.

خـــــاكــــــوب : لو لم تنظرى للجمهور... !

تـابـاكـــــــــو : ماذا سيحدث إذا لم تكن تنظر إلى الجمهور؟ انتظر، انتظر. (مستعد لضربه. يتدخل الناس بينهم، ويفرقونهما)

بـعـض الـنـاس : يا سيد خاكوب !

آخــــــــرون : تاباكو! يا سادتى ! (يدخل سائس الأفيال جاريًا)

سـائس الأفـيـال : يا سيد روخو، "نيرون" يحطم كلَّ شىء ، إنه يريد الهروب.

روخـو – صـائب : آه! سأذهب ! سأذهب ! ... إنهم لا يتركون الشخص هادئًا (يخرجون بهدوء شديد، بعد أن شربوا ، ترن الأجراس)

خـــــاكــــــوب : لا أريد أن أضيع وقتى...، فإنَّه وقت مقدس .... يعلنون بدء الجزء الثانى. "يالهم من أغبياء !" (يخرج المونشير خاكوب)

تـابـاكــــــــــو : لن يبـقى هنا لـيومٍ واحـد بعـد ذلك. لن يبـقى ولو ليوم واحد بعد ذلك... أنا أقول لكِ . (تدخل السيدة ليليا ومعها سلة كبيرة)

لـيـلـيــــــــــا : ماذا حدث لك يا سيد تاباكو؟ تشاجرت مع السيد خاكوب. إنَّه شيء لا يدهشني. إنه إنسان فظ وبذيء ... طابت ليلتك يا مدام جيني . كيف حال الأولاد ؟

جــــــــيـنـي : فإنهم بخير. لا يوجد نقود كي يأكلوا ويشربوا .

لـيـلـيــــــــــا : فالمهم هو الصحة والقوة، أما النقود سيكسبونها في المستقبل.

تـابـاكــــــــــو : هذا صحيح. سيكونون مهرجين ساحرين، أفضل من أبناء شيفر.

جــــــــيـنـي : وماذا عن صغيرك ، مدام ليليا؟

لـيـلـيــــــــــا : مستاء جدًا، مستاء جدًا، بما أنني اضطررت لفطامه...، ومع عملي في الأسلاك لم يكن ممكنًا؛ لا يمكنني أن أبقى في المنزل من أجله.

جــــــــيـنـي : لقد ربيت السَّبعة بالبزازة. نحن الفنانين لا نستطيع أن نربيهم بطريقة أخرى. وعلى الفور يأكلون كل شيء.

لـيـلـيــــــــــا : وماذا كان يقول السيد خاكوب؟

جـــــــــيـنـى : إنَّه غضبان جدًا لأنى أعمل هنا شغل الإبرة، أعد معطفًا لابنى أليكس.

لـيـلـيـــــــا : لقد تشاجر معى أنا أيضًا فى الليلة الماضية؛ لأنه قال إنَّ هذه القبعة لا تليق بالعرض، قبعة كلفتنى خمسة عشر فرنكًا فى المعرض الأخير فى باريس ! فنحن هنا من الفنانين والأشخاص المحترمين ولكنهم لا يحتاجون إلينا.

تـابـاكــــــــو : فهذا ليس سيركًا. عندما كنت أعمل فى سيرك " وولف" فى برلين وسيرك" رينتث" فى فيينا وسيرك"كورادينى" فى روما... فهذه مؤسسات جادة؛ فهناك الفنان فنان.

لـيـلـيـــــــا : ذلك ما كان فى الماضى؛ أمَّا الآن فكلهم سواء، تقريبًا. بأية جهاز إليكترونى وأية حيلة ممكن ارتجال فنانين فى الحال، وأمَّا نحن الفنانين الحقيقيين علينا. أن نعمل بلا مقابل؛ فزوجى يبدو لى أنه موهوب فى عمله.

تـابـاكــــــــو : لا يمكن أن يكون أكثر من ذلك.

لـيـلـيـــــــا : وأنا بلا غرور أقوم بعملى على الأسلاك مثلما يفعله أىُّ شخص، بل وأكثر ، أقوم بخطوة من أمام مع قفزه و"شقلبة فى الهواء" : فأنا السيدة الوحيدة

التى تقوم بهذه الحركة فى أوروبا.

تـابـاكـــــو : لا شىء أعظم من ذلك.

جـــــينـى : لقد بدأ الجزء الثانى.

ليليــــا : هل ستدخلين لمشاهدة العرض؟

جـــــينـى : نعم، المهرج الروسى ؛ فزوجى يحتاج إلى تعليم.

ليليــــا : هل من الممكن يا سيد تاباكو؟ يالكِ من مازحة!

تـابـاكـــــو : نعم؛ فالسيد خاكوب يعتبر المهرج الروسى ظريفًا جدًا.

ليليــــا : سأنتظر زوجى هنا. قبلاتى لصغارك يا مدام جينى.

جـــــينـى : وقبلاتى أنا أيضًا لصغيرك يا مدام ليليا. (تخرج جينى وتاباكو، ويدخل نونو وتومى)

تـــومـــى : (مشيرًا إلى الأمير) إنهم هناك، انظر.

نـــونـــو : لقد قلت : إنهم سيكونون هنا؛ فالأمير لا يحب الدخول إلى خشبة المسرح.

تـــومـــى : هل ستقترب منهم؟

نـــونـــو : عندما يستدعوننا؛ فأنت تعرف الأمير. سنجلس هنا؛ فأنا أدعوك للطعام. (يجلسان)

تـــومـــى : وهل سنتناول العشاء هناك هذه الليلة؟

نــــونــــو : نعم.

تـــومــــى : ودونينا أيضاً؟

نــــونــــو : فإنَّها غبية ... لا تريد المجىء ؛ فهى تغار دائماً من مزاحى مع جميع الفتيات.

تـــومــــى : ولِمَ لا تمزح هى الأخرى؟

نــــونــــو : هى؟ إذا أرادت .... مع الأمير، ثروتنا.

تـــومــــى : ولِمَ لا تجعلها تذهب رغماً عنها؟

نــــونــــو : أبالقوة؟ إنَّك لا تعرفها. إنها لن تأتى، لكنها ستأتى بدافع الغيرة، إذا أخبروها أنى هنا مع نساء أخريات... وهى ستقع فى الشَّرك بنفسها .

تـــومــــى : لكن هل الأمير سيعجب بدونينا؟

نــــونــــو : وما أدرانى! فهو لديه هذه النزوة. فأنا سئمتها وأحتاج إلى المال، الكثير من المال لكى أتخلص من هذه الحياة الرديئة، وأصبح شخصية محترمة. فالأمير رجل غريب الأطوار، مثل كل هؤلاء السادة العظام لا يعرف ما يريده.

تـــومــــى : لقد فهمت ! هل تعرف ماذا حدث لفريد مع إحدى الكونتيسات ؟ أهدت له الكثير من الجواهر والمال، وأمَّا الآن فقد تعبت منه وتقول إنَّهُ مبتز وتهدده

بالشرطة...

نـــــونـــــو : الشرطة ! سيكون غباءً منه أن يخاف؛ فأنا أؤكد لك أنى إذا أخذت مالاً من الأمير لحسابى، فإنه لا يستطيع أن يبلغ عنى الشرطة.

تـــــومـــــى : لكن الأمير ... ، لماذا؟

نـــــونـــــو : يالك من غبى! دونينا قاصر. أنا أعرف القانون. والأمير لا يناسبة إثارة الفضائح. هل فهمت؟

تـــــومـــــى : لقد فهمت ! لو كنت أميرًا لما اكترثت بشىء.

نـــــونـــــو : وأنا أيضًا، ولكن هؤلاء النَّاس كذلك يحبون أن يتسلوا دون أن يعلم أحد ، وهذا يتكلف أموالاً.

تـــــومـــــى : لكن أعلم أن هؤلاء الناس يمشون دائمًا بحراسة وإن كان هذا غير ظاهر لهم.

نـــــونـــــو : هذا يجب ألا أفاجئه فى أىِّ لحظة. لقد تكلَّم معى أناس من الشرطة كانوا قد رأونى معه . يبدو أن هناك فى بلده يوجد حزب كبير يريد أن يجعل من الأمير إمبراطورًا، وهؤلاء النَّاس هم الذين أرسلوه بعيدًا .

تـــــومـــــى : هل هذا يعنى أنك بما تفعله مع الأمير ستكون متآمرًا؟

نـــــونـــــو : أنا؟ وما يهمنى فى أن يكون إمبراطورًا ! أنا أريد المال؛ فهذا ما نريد الحصول عليه. فلا مانع عندى

أن يكون إمبـراطوراً. أنا فـقط أريد أن أتـرك هذه الحياة ، وأرجع لبلادى، وأتزوج الفتاة التى أحبها حقًا، فـهى فتاه شـريفـة حقًا. لقد رفضنى والدها لأنى كنت ضـائعًا، ولكن عندمـا يرى أنـى أملك مـالاً كثيرًا، ومنصبًا...

تـومـى : هذا يعنى أن دونينا ...

نـونـو : دونينا ... فهى التى تحبنى. لقد تركتها تحبنى مثل الأخـريات؛ فكل ممثـلات المسـرح يصلحـون ... "لتسالى الأمير".

تـومـى : أعتقد أنك كنت تحبها، وأنك سعيد بهذه الحياة.

نـونـو : فـالإنسـان يعيش بما تتيح له إمكانياته، لكنه يفكر دائمًا فى شـىء أخر سـواء كـان قريبًـا أم بعيدًا... ألا تعيش هكذا أنت أيضًا؟

تـومـى : نعـم ، ولكنى مـقـيـد بـهـذه المرأة والطفل... فـيم سأفكر؟

نـونـو : من أجلك ، لا ، ولكن من أجل أولادك ، كيلا يكونوا مثلك ويعيشون بطريقة مختلفة ...

تـومـى : لديك حق.

نـونـو : لقد فهمت، إذن.

إســـــتــــــر : أيهم الأمير؟

خـــوليـــتـــا : الأصغر سنًا، الذى لايتكلم. لا يتكلم أبدًا. وهاتان (مشيرة إلى روسينا وبيبيتا) سيكونان متغطرستين وقد عرفتا مصيرهما.

إســـــتــــــر : إذن، لماذا يأتى الأمير إلى هنا؟

خـــوليـــتـــا : من أجل الفنانات. ينظم له سكرتيره الخاص الذى يصحبه دائمًا بعض حفلات العشاء.... الأصيلة مثلما يقولون، وتُقام فى مغارة يتردد عليها سفلة القوم (قامت روسينا وبيبيتا اللتان يصطحبان الأمير ويودعانه)

إســـــتــــــر : يبدو أنه قد سئم منهما ... وهم يضحكون.

خـــوليـــتـــا : وبطبيعة الحال، سأقول لهم عندما يمرون...

إســـــتــــــر : لا تثيرى الفضائح، وإلا سيأخذ منا السيد خاكوب التذاكر.

الأمير فلورنثيو : آه! هارىَ، إنى أسأم هذه الليلة. ماذا ستفعل؟

هارى لوثنتى : الرَّحيل إلى سوابيا؛ ليبايعوك إمبراطورًا، وإعلان الحرب على العالم بأكمله...

الأمير فلورنثيو : اصمت، يا أيها الشاعر الإمبريالى!

هارى لوثنتى : ولـمَ لا؟ وأنا نفسى إمبراطور. هل تتذكر

ما قاله هاملت ؟ بوسعى ألا أعيش في قشرة جوز وأنا أعتقد أني ملك لأكبر بلد في العالم.

الأمير فلورنثيو : أضاف ، لكن هذه الأحلام تجعلنى غير سعيد.

هاري لوثنتي : ولكنها تسعدنى أنا. أنا أحكم من خلال قشرة الجوز هذه. لقد أسست إمبراطوريتي الخاصة محاربًا للعالم بأكمله؛ فروحى جزيرة حصينة مثل جزر وطنى.

الأمير فلورنثيو : وكيف حصلت عليها...؟

هاري لوثنتي : جعلتني مكروهًا من الجميع؛ فكل لحظات الضعف والتنازلات والجبن لأنفسنا من صنع الحب والمجاملة. وبسببها نمنح الآخرين ميزات ليست لديهم في الحقيقة ، وعلى العكس ، نعتقد أننا مضطرون لكى نبدى صفات وسمات ليست لدينا.

الأمير فلورنثيو : إنها مفارقات؛ فأنا لم أكرهك.

هاري لوثنتي : لم تكرهنى إلى الآن. أنا لم أقل لك الحقيقة أبدًا.

الأمير فلورنثيو : لأنك لم ترد .... يمكنك أخبارى بها.

هاري لوثنتي : حقًا؟ إنك شيطان مسكين لأمير تافه وفقير في كل شيء.

الأمير فلورنثيو : أف ! الويسكي!

هاري لوثنتي : الحقيقة ، فلورنثيو، الحقيقة. يالفضائحك ودناءاتك! تريد أن تفضح الإنسانية وتفضح السيدات

العريقات للبلاط الملكى فى سوابيا؛ فحفلات العربدة التى تقوم بها عبارة عن موائد مقابل خمسمائة فرنك . فما هى إلا حالات هروب لتلميذ قرأ أربع روايات سيئة. تلك الأوكار الشيطانية التى تتردد عليها بخوف شديد ونفاق... هؤلاء. أنقذ الإمبراطورية! يا هليوجابالو ! يا ابن الشمس!

الأمير فلورنثيو : هل انتهيت؟ لن أكرهك بسبب هذه الحقائق... فالعصور لن تقبل أشخاص مثل "نيرون" ولا هليوجابالو" ... وأنت أيضًا لا تستطيع أن تصل إلى شكسبير على الرغم من كتابتك لقصائد شعرية مثل قصائده؛ فواحدة منها بالتأكيد محاكاة لقصيدة أخرى لشاعر إيطالى من القرن السابع عشر.

هارى لوثنتى : (غاضب جدًا) كذب! فأنا لا أنتحل من أى شخص ... إنها افتراءات حاقدين؛ لقد أثبت أنَّ القصيدة الإيطالية مزيفة؛ لقد اخترعوها لتعذيبى، قمت بإثبات ذلك ولم يصدقنى أحد. إنَّه لشخص غبى الذى يقول... ستكون كذلك إذا قلت...

الأمير فلورنثيو : (ضاحكًا) ها قد رأيت يا عزيزى هارى أنَّه من السهل أن تجعل الناس يكرهون شاعراً بالحقيقة

أكثر من جعلهم يكرهون إمبراطوراً.

هـارى لـوثـنـتـى : "يالك من مـهرج!" (يقوم الأمـيـر ويتـوجـه نـحـو نونو وتومى)

الأمـيـر فلورنـثـيو : لنذهب يا عـزيزى هارى، جـهـز سـهـرة كـبـيـرة وشـيـطانيـة لـهذه الليلة. لديك اعـتـمـاد بأكـثـر من خـمـسـمـائة فـرنك طابت ليلتك نونو، طابت ليلتك تومى.

نـــــونـــــو : يا صاحب السمو!

الأمـيـر فلورنـثـيو : اجلسوا، تدثَّر ... ألم تقم بعملك حتى الآن؟

نـــــونـــــو : لا، فنمرتنا تقريبًا فى النهاية، قد كنا ننتظرك.

الأمـيـر فلورنـثـيو : هل ينقـصـك أحد هذه الليلة؟ ولا حـتى حـبـيـبـتك دونينا؟

نـــــونـــــو : دونينا ...

الأمـيـر فلورنـثـيو : قل إنك لا تريدهـا أن تأتـى... لقـد بدأت أشك فـى ذلك، تريد أن تكون وقـحًـا، تقـول: أف ! الحـسـناء دونينا "سـتـجـعلنى أفقد رشدى" ... وأنك مـتـيم بها وتريد أن تحتفظ بها لك وحدك.

نـــــونـــــو : آه، لا يا صـاحب السـمـو! فـهى التى تحبنى، وها أنت قد عرفت... (متأملاً فى خاتم الأمير) فليسمح

لى سموك. ياله من خاتم جميل!

الأميـر فلورنثـيو : هل تحب الجواهر؟

نـــونـــو : أكثر من أىِّ شىء.

الأميـر فلورنثيو : (ملتفتًا إلى نونو) ها أنا أرى...

نـــونـــو : فهو زجاج ملون.... فهو يظهر جيدًا فى الظلام... فـهو لا يستطيع فعل شىء آخر... وهذه الحجر، ماذا يسمى؟

الأميـر فلورنثـيو : ياقوت أحمر ، وأما هذا فهو أوبال (عين الهرِّ)

تـــومـــى : فهذا يجلب سوء الحظ.

الأميـر فلورنثـيو : للآخرين. هل تجرؤ على وضعه فى معصمك؟ (راميًا الخاتم له)

تـــومـــى : أجل! (وضع الخاتم فى معصمه) أشكرك يا صاحب السمو، لكننى أخاف ألاَّ أستطيع الاحتفاظ به لوقت طويل؛ لأننا قد نمر بيوم عصيب. وهذا هو سوء الحظ.

نـــونـــو : (منزعج) الآن تومى هو صديقكم.

الأميـر فلورنثيو : فـإنَّك لست صديقى، وليس لك هدية منِّى؛ فنحن متخاصمان.

نـــونـــو : ولكن إذا قمت بتحضير مفاجأة لهذه الليلة؟

الأمير فلورنثيو : عندئذٍ سيكون لك خاتم سيقضى على جميع زملائك حسداً.

نـــونـــو : أوه ، يالجماله !

الأمير فلورنثيو : وأشياء أخرى كثيرة أعرف أنك تريدها. (يُخرج الأمير علبة سجائر من الذهب ويعرض عليه سجائر)

نـــونـــو : علبة سجائر أخرى! من الذهب... فجمعيها من الذهب ، لكن هذه بها أحجار. هل هو اسم سموك؟

الأمير فلورنثيو : لا، فهى بعض أشعار بالإنجليزية ... احتفظ بها يا نونو.

نـــونـــو : صاحب السمو...

الأمير فلورنثيو : قلت لك احتفظ بها.

نـــونـــو : يا لجمالها ! أترى يا تومى؟ إنَّها من الماس و ... مثل هذا ...

تـــومـــى : ياقوت...

نـــونـــو : وهل قلت إنها أشعار؟ (قارئًا) "أوه ، فإنك سيد..." لن أقرأ أكثر من ذلك.

هـارى لـوثـنـتـى : فأنت لست فى حاجة لذلك.

نـــونـــو : هاهنا أتت دونينا مع زايدة.

هـارى لـوثـنـتـى : تلك الفتاة التى تقول إنَّها عربية؟

نــــونـــــو : نعم ، فـهى كذلك. من قسطنطينة فى الجزائر؛ فـهى يهودية، ترقص رقصـات شـرقـية، وبعد ذلك تركـها رب عملها لتعمل معنا. يمكن اعتبارها من نابولى.

الأمير فلورنثيو : كنت أعتقد أنَّها كذلك.

نــــونـــــو : إنها فتاة حزينة، تبكى دائمًا ، تبكى على كل شىء .

الأمير فلورنثيو : وهذه مع من تكون؟

نــــونـــــو : ليست مع أحد؛ فـهى تحبنى وأنا أعـرف ذلك، لكن هى صديقة حميمة لدونينا، وعندما أقول لها شيئًا عنها تصبح متوحشة؛ فدونينا تحبـها حبًا أعمى، وهى شرسة فى الدفا ع عنها.

هـارى لـوثـنـتـى : إذن، سينتهى بكم الأمر بأن تتحابوا جميعًا .

نــــونـــــو : أنا أقول لسيادتك لا؛ فهى سـاذجة كالطفل الحديث الولادة.

الأوبر فلورنثـيـو : ليس شيئًا غريبًا؛ فبينكم... لن نرى بعضـنا ؛ فإلى اللقاء هل ستذهبون من هنا؟

نــــونـــــو : ونحن نرتدى ملابس المسرح، كما تمَّ الاتفاق.

الأمير فلورنثيو : ألن يتغيب أحد؟

نــــونـــــو : لا، أريد أن أثبت لسموك أنّى صديقك .

الأمير فلورنثيو : إلى اللقاء فيما بعد. هيا بنا يا هارى (ناظراً إلى إيمبريا التى قد خرجت منذ دقائق مع دونينا وزايدة) آه، إيمبريا! هل رأيت يا هارى؟ (اقترب نونو وتومى من مجموعة النساء. تنهض دونينا وتتشاجر مع نونو فى مكان بعيد عن الآخرين)

هارى لوثنتى : نعم، لقد حكوا لى القصة التى جاءت بها إلى هنا. صداقة قديمة وأخوة (كل ما بين هؤلاء النَّاس شىء أخوى) مع والدة دونينا. لقد كانوا زملاء فى فرقة مسرحية. علمت أنَّ الفتاة كانت هنا فجاءت لرؤيتها فى إحدى الليالى... ورجعت، هذه هى الحقيقة الرسمية.

الأمير فلورنثيو : لم يعرف عمى أن صديقته تتردد على هذه الأماكن، سيبدو له أن هناك نقصًا فى الوقار. ينبغى أن نخبره بذلك.

هارى لوثنتى : آه، نعم ! يجب ذكر كل ما هو مزعج. (يخرج الأمير وهارى)

نونو : (لدونينا) ها قد رأيت مع من كنت أتكلم.

دونينا : وقبل ذلك على خشبة المسرح. أتعتقد أنى لا أعرف،

أنى لم أر؟ لم يبق سواها. إنّها اليابانية، بينما كان يعمل زوجها... أعلم أنَّ هناك حفلة كبيرة هذه الليلة، ولكنك لم تخبرني.

نونو : على العكس، فإنَّكِ مدعوة.

دونينا : أنا، أنا؟ لكي يكون كل شيء أمامي.. أن أكثر ما يغضبني ليس فقط. إنك تضحك مع أخريات وتعانقهن وتقبلهن، بل إذا أراد أحد أن يفعل الشيء نفسه معي تقبله عن طيب خاطر وتضحك أيضًا.

نونو : يالكِ من غبية! (يخرج علبة السجائر ويشعل واحدة)

دونينا : (تنظر إلى العلبة) ما هذه؟ من أعطاك إيَّاها؟ وماذا يقول هنا؟

نونو : ها، ها، ها!

دونينا : (تدوس العلبة وهي غاضبة) انظر، انظر: فإنه لا يقول شيئًا؛ لا يقول شيئًا! وسأفعل مثل ذلك معك ومع من...!

نونو : (يهددها) دونينا! ... ماذا تفعلي؟ ماذا فعلتِ؟ أقسم لك أن... !

إيمبريا وزايدة : (يتوسطان) أهدأ يا نونو...!

نونو : لولا وجودنا هنا...!

دونــــيــــنــــا : اضربني، اقتلني ! فكلاهما سواء!...

زايـــــــــــدة : (معانقة دونينا) دونينا! يالكِ من مسكينة!

نــــونــــو : هيا بنا يا تومى لنرتدى ملابسنا، هيا بنا. ستأتى هذه الليلة! (يخرج نونو وتومى)

زايـــــــــــدة : لا تبكِ هنا ، يوجد أناس كيلا يروك...

دونــــيــــنــــا : وماذا يعنينى كل ذلك!

إيمبــــــريا : والآن، هل تريدين المجىء معى؟

دونــــيــــنــــا : لا ، لا! سأبقى معه دائمًا حتى لو قتلنى ! إنَّه لم يكن هكذا قبل ذلك!... كان يحبنى كثيراً ! لقد كان يخوننى مع جميع الفتيات، هذه حقيقة، ولكن كنت دائمًا بالنسبة له دونينا، الأولى، الفريدة بعد كل ذلك . وكنت أشعر بالغرور فى أعماقى؛ لأن جميعهن يحبونه وهو بعد ما يهزأ منهن يعود إلىَّ دائمًا دون أن ينسانى. لكن الآن، لا؛ فلديه قصد سيئ، بالإضافة إلى خداعه لى يبدو كأنه يستمتع بكونى أعرف ذلك. ومع هؤلاء الرجال، منذ أن جاءوا...

زايـــــــــــدة : إنَّ نونو سيئ جداً، أصبح الآن سيئًا جداً. لقد كنت أحبه قبل ذلك. ودونينا لم تكن تغار منى، كانت تعلم أنى أحبه من أجلها. لقد كانت مودة من القلب... كنت بمثابة أخت لهما هما الاثنين، ودونينا

تعرف. لكن فى الحقيقة نونو ليس كما كان. لم نعد نضحك لدعاباته؛ فقد كان مسرورًا ، مسرورًا. عندما كان سعيدًا، كان كل شىء حوله ضحكًا وسرورًا.

دونينا : لقد كان كذلك حقًّا؟ لقد كنا سعداء... !

زايدة : كنا نمضى ساعات بأكملها نضحك ونغنى ونرقص من السعادة بأننا وحيدين، ولم نتزوج دون أن نفكر فى أننا يجب علينا بعد ذلك أن نغنى ونرقص فى المسرح جديًا من أجل الجمهور.

دونينا : لقد كنا سعداء جدًا!

زايدة : ونحن الثلاثة سويًا كنا سنظل سعداء دائمًا.

دونينا : إنهم هؤلاء الرِّجال. لقد كان هؤلاء الرَّجال؛ ذلك الأمير الشاحب الوجه الذى يجعل الدَّم يتجمد بمجرد النظر إليه.

إيمبريا : نعم، الأمير، فأنا أعرفه جيدًا؛ فهو لا يمتعه سوى التعذيب والحط من قدر الآخرين.

دونينا : لكنى سأذهب معهم هذه الليلة؛ فهذا ما يريده.

إيمبريا : لا ، ذلك لا، من أجل الرجل الذى تحبينه، من أجل الذى اختاره قلبك وهو مثلك أنتِ، عيشى...، كما

يعيش الناس ...، بين السَّراء والضَّرَّاء؛ فأنت ترين أنى لا أنصحك ولا أبعدك عن مودته. لكن عن الأمير، نعم، لا تقتربى أبداً من المكان الذى يوجد به. لا يمكنك أن تتنفسى بجانبه سوى الكراهية والبؤس والخجل. يجب على عشيقاته أن يرتدين ثياباً رثة. ويسىء معاملتهن بدون رحمه؛ فهو محاط بالبؤساء ومع كثرة المال لا توجد دناءة تستحيل عليه؛ فهو يسلم طفلة إلى عجوز بغيض وصبى قوى البنية إلى سيدة قبيحة مريضة، ويشترى البنات من الآباء والأخوات من الإخوة ... فتلك هى حفلاته الجهنمية. لقد كان فى مرات كثيرة هناك فى سوابيا، وفى ليلة غطاها الجليد كان يقوم بجمع الكثيرين من الذين ينامون فى الخلاء ، ويصل مع حاشيته من البؤساء الجائعين إلى مستودع الجثث ممن انتحروا أو ممن ماتوا مغتالين فى الشوارع من البرد والجوع؛ فهم يوجدون بكثرة فى الشتاء: رجال ونساء وأطفال أيضاً... لقد كان شيئًا فظيعًا ! وكان يُلقى بالعملات الذهبية فوق جثث الموتى، وكانت مسابقة شرسة من جانب هؤلاء الناس

المجنونة ببريق الذهب. كانت العملة تقع فوق جرح مفتوح؛ فتمتد إليها مائة من الأيدى فوق الجرح. لقد كانوا يدفعون الموتى، كما كانوا يطأونهم، وهو ... حتى ذلك لم يكن يضحكه: لقد كان يتأمل، يتأمل دائمًا، كما ينبغى تأمل الشيطان فى الجحيم، يتأمل كل المصائب التى يمكن أن يرتكبها الجوعى مجبرين من جانب من ليس فى قلبهم رحمه. هذا هو الأمير الشاحب الذى يجعل الدم يتجمد بمجرد النظر إليه.

دونـيـنـا : أكرهه بسبب شىء ما. لن يعود نونو إليه أبدًا، وإلا فلن يرنى بعد ذلك.

إيمبـريـا : هل ستأتين معى؟

دونـيـنـا : لا ، بدونه،لا! قلت إنه لن يرانى بعد ذلك لأنه سيقتلنى. لا يمكننى أن أكف عن رؤيته سوى بهذه الطريقة.

إيمبـريـا : تحبينه حيًّة أو ميًّتة ... ليكن ما يكون!

زايـدة : دونينا، إننى أسمع موسيقى النمرة التى تُعرض قبلنا . يجب ألا نتأخر .

دونـيـنـا : حقًا، الغناء والرقص، لن يذهب هذه الليلة، لن

يذهب. هل ستدخلين لمشاهدتى؟

إيمبريا : نعم.

دونينا : أراك فيما بعد. أعطينى قبلة من أجل زايدة ومن أجلك أنت أيضًا.

زايدة : وأنا أيضًا أحبك كثيرًا يا سيدتى، وكل من يحب دونينا (تخرج كلٌ من زايدة ودونينا، ويدخل كل من الكونتيسة رينالدى وليوناردو)

ليوناردو : ما يسيئنى أنى لم أكد انتهى من إنقاذك من خطر كبير، مثلما كنتِ تؤكدين، حتى أجدك تتكلمين مع " روخو – صائب" مروض الأفيال.

رينالدى : وافرض...؟ رجل هندى ، فظ .... ! لقد كان يخبرنى بمميزات أفياله. إنه شيء مثير للفضول... فحياة هؤلاء النَّاس شيقة وأكثر متعة من حياتنا. ما رأيك إذا قدمت نفسى فى السيرك؟ ماذا سيقول الناس؟

ليوناردو : سيقولن إنَّك رجعت إلى رشدك ؛ لأنها لن تكون أكبر حماقة قد قمت بارتكابها.

رينالدى : فى الحقيقة إنَّ هذه الحياه رتيبة ليس بها تغيير...يالها من رتابة !

ليـــــــونـاردو :   وعندمـا تلغـين مـا يـشكل رتـابة حـيـاتك،أشك أنك ستملين أكثر .

ريـــنـــالـــدى :   هيـا، أدعـونى على شـىء. أريد أن أتنـاول جـيـلاتى، جيلاتى بالفواكه؛ فإنَّها لذيدة.

ليـــــــونـاردو :   بكل سرور. آه ، إيمبريا ! هل رأيت ...؟

ريـــنـــالـــدى :   نعم، وليالى أخرى...

ليـــــــونـاردو :   ياله مـن شىء غـريـب ! أتـأتى بمفـردهـا! وبهـذه الثياب ! ...

ريـــنـــالـــدى :   فـهى دائمًا تلبس مـلابس أنيقة جدًا، لكنها تتـعامل أيضًا مع الفنانين ، لا تتعامل مع أمثالى.

ليـــــــونـاردو :   لا أفهم ...

ريـــنـــالـــدى :   يالك من سـاذج ! كيف لا تفـهـم موديلك أكثر منى! على فكرة، عندما تعرفت عليها، كيف كانت حياتها؟ لقد سمعت حكايات كثيرة ... !

ليـــــــونـاردو :   تعـرفت عليـهـا في رومـا، بين حـشـد كـبـيـر من الموديلات الموجودين بميدان إسبـانيـا . دونينا، كمـا كانوا يسمونها حينذاك، كانت إنسانة عامية، تعيش فى فـقـر مـدقع، ذاك الفـقـر الذى تتـسـم بـه المدن الكبيرة ؛ فـهو ليس جوع لرغيف العيش فقط، بل إنه

جـوع لجـمـيـع مـتـع وملذات الحـيـاة. كـانت بين مـوديلات هذه المهنة اللائى يتـسـولن. لم يجـد الفنانون فيها أىّ لمسة جمال، وأنا أيضًا ، لكن فى يوم ما طلبت منى صدقه، لم يكن صوتها ضـعيفًا ولا باكيًا . كان صوتًا قويًا يلفت الانتباه. تكلمنا، وعندمـا كـانت تتكلم كـان وجـهـهـا يتـغـيـر، وكـذلك تعبيرات عينيها وحركات جسدها . فلم تعد فى هذه اللحظة الموديل المسكين، بل كـانت عـمـلاً فنيًـا ... كانت تمثالى....إيمبريا، الذى بعد فترة قصيرة جعل اسمى شهيراً ... هل تتذكرينه؟ لقد كانت هى بقدميـهـا الحـافيـتـين وذيل ثوبهـا المطرز ونصف جسـدها العـارى، التى كـانت تظهـر وهى تتسلق صـخـرة بجـهـد شـاق، فى القمـة ، سقط جسـدها خاضـعًا على عرش ، وكـان وجهها يشرق بعبارة لا يمكن تحديدها ... ، ابتسامة لحياة منتصرة أو لموت . يبعث على الراحة. لم أتأمل تمثالى منذ وقت طويل؛ فإحساسى الفنى لم يعد مثلما كان آنذاك، لكننى واثق من أنه كـان بهـا شىء مـا . مـزيـج من مـواد جريئة: صخور الحامل كانت من الجرانيت، التمثال

من المرمر والعرش من البرونز الذهبى اللامع.

رينالدى : وماذا يعنى ذلك التمثال؟

ليوناردو : ما أدرانى ! يريد الفنان أن يتكلم فى أعماله والأعمال تتكلم عنَّا. التمثال ...، ها أنت تريه: هذه المرأة، إيمبريا؛ إنها امرأة بائسة تتسلق الصخور وقد تمزق جسدها، وتصل إلى عرش ... كان يمكن أن يكون أيضًا شيئًا أكبر من ذلك. قوة العالم الذى تمَّ غزوه فى النهاية من قبل جميع بؤساء الأرض، وما أدرانى! لقد كان الجهد البشرى للحصول على ما يحلم به الإنسان ... ومن الذى لا يحلم بعرش ما؟ عرش تنتصر به إراداتنا بأنانيتها ورغباتها.

رينالدى : وكم من الوقت استمرت علاقاتك مع إيمبريا؟

ليوناردو : فترة قصيرة جدًا؛ فنفس الروح التى منحت الحياة لتمثالى بثت فى دونينا روحًا جديدة؛ لقد كان تمثالاً فى صورة امرأة ...؛ كانت إيمبريا. تعرَّف عليها الأمير فلورنتيو فى الأستديو الخاص به، عندما انتهت من هذا التمثال. كانت مازالت حينذاك دونينا الفقيرة، بثيابها الرَّثة ووجهها

الجائع .. ها أنتِ تعرفين أذواق الأمير. وفى صباح يوم ما جاءت لتودعنى فسألتها قائلاً: "إلى أين تذهبين يا فتاة؟" أجابتنى "إلى سوابيا لكى أتوج إمبراطورة". لم أتمكن من الضحك. لقد كان هناك ثبات كبير فى كلماتها، إيمان كبير يبرق فى عينيها، ولم يكن من الممكن الاعتراض على قدرها: تلك الفتاة كان يمكنها أن تكون إمبراطورة.

رينالدى : وهل مازالت لم تتخل عن حلمها؟

ليوناردو : لم أعرف شيئًا عن حياتها بعد ذلك. إنهم يقولون إنّ الأمير فلورنتيو كان يسىء معاملتها مثل تاجر الأعراض، وأرادت قتله، ونفيت من سوابيا، والتقت بالأمير ميجيل فى باريس، ومنذ ذلك الحين تعيش فى هدوء ولا تفكر فى شىء سوى الثراء.

رينالدى : فالأمير ميجيل هو أغنى أمراء سوابيا.

ليوناردو : إنّه مبذر كعاهل من العصور القديمة.

رينالدى : وما أفضل إمبراطورية سوى المال للهيمنة على العالم؟ وإزاء هذا الواقع العملى تضاءلت الأحلام الإمبراطورية لإيمبريا؛ ألم يكن مذهبًا عرش تمثالك؟

ليـــــــوناردو : لقد كان مذهبًا؛ لأن النور كان مذهبًا ، وقد كان عرشًا من النور، من الأحلام وعرشًا مثاليًا.

(تنهض إيمبريا وتحيهم)

إيمبـــــــريا : كونتيسة ! ليوناردو ! ألم ترياني؟

ريـــنـــالـــدى : لا، معذرة ...

إيمبـــــــريا : وهل كنتما تتكلمان عنِّى ؟

ريـــنـــالـــدى : وهل كنتِ تسمعيننا من هناك؟

إيمبـــــــريا : لا، فلم يكن من الصعب التكهن بذلك ... لقد كنتما تنظران إلىَّ من حين إلى آخر ... وتعلقان على وجودى هنا بدون شك.

ريـــنـــالـــدى : هذا، لا؛ فنحن أيضًا هنا.

ليـــــــوناردو : وبالنسبة للكونتيسة، هل سيكون من الصعب شرح السبب؟

ريـــنـــالـــدى : صَعْب؟ لاشىء من ذلك ! فكلنا جميعًا موجودون لنفس الغرض تقريبًا. يمكننا أن نتصافح ونتكلم بصراحة، ومع ذلك فى الصباح نبدو كأننا لم نتقابل.

إيمبـــــــريا : فأرواحنا الساحرة هى التى تتصافح، اسمها هكذا بسبب إحدى ذكرياتى. عندما كنت فتاةً صغيرةً،

كانت تعيش بالقرب من منزلنا امرأة فقيرة، عجوز جداً ، وذات هيئة وقورة. كانت تعيش بمفردها، وتبدو امرأة طيبة. كان منزلها نظيفًا جداً، كانت ترعى أزهارها وتطعم حمامها وتحيك ثيابها: كانت كادحة طوال اليوم! كانت حياتها لطيفة تسير على نفس المنوال، ولكن الناس كانوا يغتابونها على أنها ساحرة ، وأنها في كل يوم سبت في تمام الساعة الثانية عشرة ، كانت تطير إلى حفلة الساحرات، وهناك مع الساحرات الأخريات تبدأ عبادة الشيطان. والمؤكد أنّه في يوم من الأيام عند طلوع فجر يوم الأحد ظهرت العجوز ميتة في الخلاء، بعيداً عن منزلها، وقد غُرس خنجر في قلبها، لكن لم يعلم أحد من هو القاتل ولا سبب القتل ولا سبب وجود تلك المرأة في ذلك المكان ، وذلك لأن الجميع قد رأوها في الليلة السابقة تغلق باب منزلها كعادتها، وفي الصباح التالي كان لا يزال الباب مغلقًا.

رينالدي : وتعتقدين أنَّ بالفعل..؟ هل ينبغي أن نؤمن بالساحرات؟

إيمبريا : أؤمن بهن، لا، لكن بين ساعات الحياة الأكثر هدوءًا

توجد للجميع ليلة سبت، تطير فيها أرواحنا الشريرة إلى حفلة الساحرات الخاصة بها؛ فنحن نعيش ساعات كثيرة سيئة من أجل ساعة تهمنا. تطير الأرواح الساحرة، بعضها إلى أحلامها والبعض الآخر إلى الفسوق وأخريات إلى علاقتها الغرامية: إلى ما هو بعيد عن حياتنا وهى حياتنا الحقيقية.

رينالدى : هذا صحيح؛ فنحن فى حفلتنا الساحرة، يمكننا أن نتصافح، أهلاً يا أختاه!

إيمبريا : مرحبًا يا إخوانى إلى أين تطيرون، إلى الخير أم إلى الشر؟

ليوناردو : أنا أطير إلى المكان الذى تتلاشى فيه الحياة كالحلم.

رينالدى : وأنا إلى مملكة الحب، المكان الذى لا يمكن للموت أن يخترقه.

ليوناردو : وأنت يا إيمبريا، عن أى شىء تبحثين؟

إيمبريا : أبحث عن نفسى. أبحث عن "دونينا" الفقيرة، دونينا الجاهلة، دونينا العاشقة. لقد كشف لى فنك الجمال الذى أحظى به، وبواسطته سأحقق ما

أحلم به.

ليـــــوناردو : وهو ... ؟

إيمبـــــريا : جمع المال، جمع المال؟ فالمال هو القوة التى بها يمكنك أن تحصل على كل شئ: الخير أو الشر، العدل أو الانتقام.

ريــنــالـــدى : لقد انتهى الملهى. وها هم الناس يرجعون ليغزوا المكان.

ليـــــوناردو : ويجب علينا أن ننصرف.

ريــنــالـــدى : انظروا ... الرّجل الهندى ... هل حقًا لا يهمكم أن تعرفوا كيف يروض الأفيال؟

ليـــــوناردو : لا، لكن يهمنى أن أعرف كيف يُستأنس مروض حيوانات ... إذا أردت يمكننا أن نجلس بجواره.

ريــنــالـــدى : لا تكن متهوراً. سيلاحظ أنه ليس من طبيعتك فعل هذه الأشياء.

ليـــــوناردو : يمكنك تصديق ذلك، لكن كل ذلك سيكون من أجل مرافقتك ... (تخرج زايدة وهى تجرى وتبكى وتعانق إيمبريا)

زايـــــــدة : سيدتى ! سيدتى ! ألا تعرفين؟ دونينا ...

إيمبـــــريا : ماذا؟

زايـــــــــــدة : فـهى مـجنونة، لـم تكتـرث بـكلامى ... بعـد كل الذى ذكرتيه، ذهبت برفقة نونو مع هؤلاء الناس ومع الأمير.

إيمبـــــــــــريا : إن ذلك البائس نونو باعها. تعرفين أيّن هم، حقيقةً؟

زايـــــــــــدة : خرجوا بملابس المسـرح ... نعم، أعرف أين هم، لا أعرف الاسم، ولكنى أعرف المكان.

إيمبـــــــــــريا : تعالى معى.

زايـــــــــــدة : نعـم، هيــا بنا، هيــا بنا ... لكن هكذا ... فــأنتِ لا تعرفين حقيقة النّاس الموجودة معهم ...!

إيمبـــــــــــريا : ومـــاذا يهم الثـــيـــاب؟ ســـأذهب مـع أهـلى ... سيعرفوننى. سأمنع دناءة يعجز عن منعها رجل قوى أو انتقم مرة واحدة لأشياء كثيرة.

ريـــنـــالـــدى : طابت ليلتك يا كونتيسة، طابت ليلتك يا ليوناردو. إلى أين يا إيمبريا؟

ليـــــــوناردو : طابت ليلتك يا إيمبريا.

إيمبـــــــــــريا : سنذهب بعيداً جداً. إلى أرواح أخرى شريرة. إنها ليلة السّبت.

(مـلأ النّاس الصـالون من جديد وتعزف الموسيقى الغجرية)

ستـــار

الفصل الثالث

المشهد الأول

حانة ثيكو، ليلاً

بحارون وأناس أشرار يلعبون ويشربون في مجموعات مختلفة. ثيكو وجايتانو يقدمان الخمر، ويقومان على خدمة الجميع. تجلس امرأة وحيدة، عجوز ورثة الثياب على منضدة، تُدعى مايستا وتبدو غافلة. يأتي بيترو ومن بعده المأمور.

بحار ثالث : هنا هذه النقود، مزيد من الخمر على حسابي.

جايتانو : في الحال.

بحار ثاني : لا تلعب أكثر من ذلك.

بحار ثالث : دعني !

بحار ثاني : سأسحب نقودي؛ فإنها كثيرة.

بحار ثالث : خذ يا رجل، لا أريد سماعك.

بحار ثاني : لا، إذا استمريت ...

بحار أول : هل ستراهن؟

بحار ثالث : نعم ...، سأراهن بكل شيء.

جايناتو : (إلى ثيكو) من أين هؤلاء النَّاس؟ لا أعرف ...

ثـيـكـو : جاءوا فى يخت وصل هذا الصباح. إنَّهم يرتدون ألوانه . كيف حال ذلك؟

جـايتـانو : إنَّهم على ما يرام، ولديهم أموال.

ثـيـكـو : ها أنا أرى، لكن هذه الليلة لا يناسبها ضوضاء، فليتسلوا، لكن بدون أن نجردهم من جميع أموالهم، حتى لا يصرخون بعد ذلك. سيعودون غدًا .

جـايتـانو : ستنتهى مباراة القمار إن شئت.

ثـيـكـو : لا ، لكن لا يليق أيضًا أن يبقى هذا وحيدًا هنا . بينما هم هادئون ... (يدخل المأمور)

المأمور : عمت مساءً يا ثيكو.

ثـيـكـو : عمت مساءً؛ أهناك شىء جديد؟

المأمور : لا ، لقد رأيت توًا دخول الأمير.

ثـيـكـو : نعم، إنَّه هناك.

المأمور : من معه؟

ثـيـكـو : فأنا لا أعرف الجميع. الإنجليزى وأناس من السيرك.

المأمور : (يقرأ القائمة) لا أعرف إذا كان ينقصها أحد، ستقول أنت. لوثنتى ... الإنجليزى، نونو وتومى من

فرقة نابولى ، دونينا، ثيلستى، تريسينا، نساء من الفرقة نفسها، دك وفريد سائقو دوق سيلاند، وفتاتان إنجليزيتان .. هل يوجد أكثر؟

ثيكو : لا أحد.

المأمور : إذا حدث أى شىء، فنحن قريبون من المكان.

ثيكو : فأنا أعرف، سيأتون لكم الآن بشىء للتسلية؛ فإنَّها ليلة باردة.

المأمور : نعم، يوجد ضباب كثيف ... سأراك فيما بعد يا ثيكو ... وما بال هؤلاء الناس؟

ثيكو : المعتادون.

المأمور : وهؤلاء البحارة؟ ...

ثيكو : جاءوا فى يخت وصل هذا الصباح. ألم ترهم؟

المأمور : أنا أعرف. إلى اللقاء.

بحار أول : إنَّه يوم عظيم. يوجد هنا خيرة القوم. هل سنكون آمنين؟

ثيكو : يرى ذلك ويعم الصمت.

شخص ما : (يقترب من مايستا ويهزها) وأنت، كيف لا تشاركين فى هذه الحفلة؟

ثيكو : دع هذه المسكينة؛ فإنَّها لا تصاحب أحداً.

شـــخص مـــا : كـان يجب على الأميـر أن يدعـوك؛ لأنه لـم يعـرفك. وكان لابد أن تقولى لـه "يا صـاحب السـمـو، فنحن نظيـران ... فـقـد كنت أنا أيضًـا ملكة فى وقت مـا، وإلى الآن ينادوننى مايستا".

كثير من الناس : (يضحكون) هـا، هـا مايستا!

مـــايســـتـــا : يا لكم من غوغاء !

ثـــيـــكـــو : لقد قلت لكم دعوها. لا تكترث بهم يا مايستا.

مـــايســـتـــا : أنا؟ إننى لا أراهـم ولا أسمعهم؛ فإنَّهم بعيدون.

بـحـــــار ثالث : هل هى مجنونة؟

بيـــــتـــــرو : لا؛ فهى هكذا دائمًا فى هذا الوقت ...

ثـــيـــكـــو : لكن ، إن مـا تقـوله حـقـيقـى. أنا أعـرف ذلك؛ لأنى سمعتها تحكيه لقوم كانوا يعرفونها فى ذلك الوقت. لقد كانت جميلة للغاية، وكانت مـحبوبة ملك، وكـان لديها قصور وعربات مبهرة.

بـحـــــار ثالث : إنها حكايات.

شـــخص مـــا : لا يمكن أن تكون كذلك بسبب كـهولتـهـا والتغيـرات الكثيرة التى طرأت عليها؛ فإنِّى لا أصدق.

بـحـــــار ثالث : فالحقيقة أن رؤيتها ...

شـــخص مـــا : هيـا، احكِ هذه الحكاية. من كـان ذلك الملك؟ وأين كانت قصورك؟

بيـــــتـــــرو : احكِ يا جدة، احكِ ... أجل، سيدى هذا كان ملكًا ...

ثـــيـــكـــو : دعوها وشأنها.

مـــايســـتـــا : يا رعاع، يا أوباش! ماذا سأحكى لكم؟ إذا كنتم لا تصدقون سوى ما تراه أعينكم. هل ترونى الآن؟ أجل، لقد كنت جميلة، ولوحات وجهى وتماثيل لجسدى يحتفظون بها فى القصور والمتاحف، لكن حتى لو أخذتكم أمامها وقلت لكم ...: هذه لى ... لن تصدقوا. لقد أحبّنى رجال كثيرون ذو قوة وعظمة وحكمة ... وأيضًا كانَ هناك ملك لو قلت له كلمة واحدة سيتخلى عن عرشه. هل ترونى هكذا؟ أجل لقد ارتديت ثيابًا مطرزة بجواهر تساوى مملكة بأكملها ... وكنت أنفق على الزهور فى يومٍ واحد ما أريده الآن لكى أعيش به ما بقى من عمرى. لن تصدقوا ذلك؟ لم يتبق شىء لدى. أليس كذلك؟ نعم، اقتربوا. (نزعت قفازًا من الصّوف،) بقيت هذه الأيدى التى لم تعمل قط. أيدى ملكة، قد قبلها الكثيرون بامتنان ... إنها فخرى واعتزازى؛ فلم تنقصنى القفازات حتى ولو كان ذلك على حساب طعامى. انظروا إليها؛ أليست يدى ملكة؟

بيـــتــــــرو : نعم، هذا حقيقى.

شـــخص مـــا : كان لابد أن يبقى لك شىء؛ فالناس يمكنهم تقبيل يديك حتى الآن.

مـــايســـتـــا : يمكنكم جميعًا أن يكون لكم كنوز الأرض وتغزوا جميع الممالك وتصبحوا ملوكًا ... وأحفادكم لن يكون لديهم نفس الأيدى التى لدى.

بيـــتــــــرو : يدان مبذرتان.

شـــخص مـــا : كان يمكنها أن تحتفظ بشىء أكثر من البياض، لن يكون هذا حالك لو كان ما تقولينه صدقًا.

مـــايســـتـــا : هاتان اليدان لا تعرفان الاحتفاظ بأى شىء. كانت تتدفق عليها الكنوز فى قوقعة مرمر لنافورة لكى تكون أكثر انتشارًا.

شـــخص مـــا : سيكون هناك الكثير من الإحسان.

بيـــتــــــرو : خير كثير.

مـــايســـتـــا : خير أو شر، ما أدرانى أنا ! كان يأتى إلىَّ أناس محتاجون وأناس ضائعون ... فالجميع سواء ... إذا فكر أحد! ... فالشيطان يسخر من هؤلاء العقلاء الذين يرفضون إعطاء الإحسان معتقدين أنه من الممكن أن يكون من أجل الخمر ... يجب أن نبث

السعادة بسرور؛ فالخمر بالنسبة للكثيرين شيء أهمُ من الخبز ... لا أحد يأكل الزهور والأرض تنبت الزهور؛ فالقلب الذى لا تنبت به الزهور قلب جاف.

بيترو : أحسنتِ القول !

شخص ما : هيًّا يا جدة !

ثيكو : ألم أقل لكم إنها ليست مجنونة؟ ادعوها الآن على شيء.

بيترو : لها ما تشاء.

مايستا : إنَّه نفس الشيء.

بحار ثالث : شمبانيا، هذا أقل ما يقدم للكة !

شخص ما : شمبانيا، شمبانيا ... أحضروها. إنه سيدفع هنا. هل لديك شمبانيا؟

ثيكو : هذه الليلة، نعم، سأحضرها إذا لم تكن دعابة.

شخص ما : إذا لم يدعوكِ الأمير على شيء حتى الآن، سندعوك نحن.

مايستا : أمير سوابيا، أنا كنت أعرف الإمبراطور، كان حينذاك وليًا للعهد. لقد رأيته فى مجلة عسكرية فوق جواد أبيض، لقد كانِ شخصية متغطرسة ...

لابد أن يكون عجوزًا جدًا الآن. وكنت أعرف أيضًا إتلبينا، والدة هذا الأمير. لقد كانت طفلة حينذاك، من سيعرفها؟

ثيكو : الشمبانيا؛ ستأتى الأكواب.

بيترو : إلى مايستا أولاً. إنه نخب. أمازلتِ تريدين العيش أكثر من ذلك؟

مايستا : ولمَ لا؟ حسب إرادة الله.

بيترو : فى صحتكِ إذن.

مايستا : فى صحتكِ وسعادتكِ، فما زال الوقت أمامك. نعم، إنَّها شمبانيا.

ثيكو : ماذا كنت تعتقدين إذن؟

مايستا : كنت أعتقد إنها دعابة. لم أشربها منذ وقت طويل! ... فليجازيك الله ! كأسًا آخر ! إنَّها خمر مبهجة، وهذا ليس سيئًا يا ثيكو؛ فأنا أفهم ذلك.

بيترو : فهذه الليلة لستِ الملكة الوحيدة الموجودة فى هذا المنزل يا مايستا.

المشهد الثانى

السابقون ، وإيمبريا، وزايدة يظهرون عند الباب.

إيمبريا : هل هو هنا؟

زايدة : نعم، يا سيدتى، ألا تخافين؟

إيمبريا : لماذا؟ لقد كان منزلى هكذا . تفضلى بالدخول !

بيترو : (ينظر إلى إيمبريا) إنَّها ليلة الملوك.

ثيكو : صمتُ !

بيترو : هل كانت ملابسكِ هكذا يا مايستا؟

شخص ما : ألا تعرفين هذه الملكة؟

مايستا : ملكة؟ ... كما كنت أنا ! لا أعرفها، اللاتى كنت اعرفهن أما قد متن أو أصبحن الآن عجائز.

إيمبريا : هل جاء الأمير؟ لا تنكر وجوده. أعرف أنَّه قد جاء هنا هذه الليلة، وأعرف مع من يكون.

ثيكو : هل ينتظركِ؟ إنَّه لم يقل لى شيئًا .

إيمبريا : لا، لا ينتظرني. لحظة واحدة (تكتب بقلم رصاص فى ورقة) سلمه هذا ، وأحضر لى الرَّدَّ على الفور.

ثيكو : حسنًا . هل تريدان الجلوس؟

إيمبريا : لا، هل يوجد مكان آخر للانتظار؟

ثيكو : غرفة صغيرة سيئة، هناك فى الطابق العلوى.

إيمبريا : لا تتأخر.

ثيكو : لا تخافا، إنهم أناس طيبون. (يذهب ثيكو)

إيمبريا : أنا لا أخاف.

زايدة : سيدتى ... معذرة لما قلته لكِ ...

إيمبريا : لماذا؟ أتعتقدين أنى خائفة؟ إنى لا أستغرب المكان ولا النَّاس، أنا استغرب نفسى.

بيترو : (إلى مايستا،) أجل، يجب عليك أن تقدمى لها كأسًا؛ فانتما نظيرتان...

شخص ما : فى مثل هذه الحالات لابد من القيام بالمراسم والتشريفات.

مايستا : (تتمايل بضحكة سُكر) تعالى، تعالى ... (تقدم كأسًا لإيمبريا) سيدتى! ...

زايدة : (مذعورة) آه !

إيمبريا : لا تخافي. ماذا تريدين يا أيتها المرأة الطيبة؟

مايستا : فأنا أيضًا ملكة ... ألا تعرفانى؟

بيترو : لا تخافا؛ فإنَّها مجنونة مسلية جدًا.

مايستا : هذه الليلة لدى حفلة فى قصرى، سأقدم لك كأسًا من الشمبانيا. اشربى بدون خوف؛ فإنَّها غير مسمومة. ليس لدى سبب لإيذائك.

ما الذى يمكنك أن تنزعيه منى؟ فأنا سعيدة. من الذى يستطيع انتزاع هذه السعادة منى؟ ولكن حذار؛ فليس الجميع مثلى. فهناك أناس أشرار. فأنا أيضًا قد أساءوا لى كثيرًا. لكن أنا، لم أسئ إلى أحد قط، إلى أىٍّ أحد ! ولهذا أنا سعيدة. لا يمكنهم أن ينتزعوا منى هذه البهجة.

زايـــــــدة : أنا خائفة.

إيمبـــــــريا : أنا، لا ، على العكس، يسرنى سماع هراءات المجانين. يوجد لديهم شىء خارق للطبيعة، شىء أشبه بالنبوءة. خذى يا أيتها المرأة المسكين!

مـــايســـتـــا : ذهب؟ هل ترونه؟ مزيدًا من الشمبانيا. (تلقى بالنقود) شمبانيا !

بيـــــتـــرو : احتفظى بها، احتفظى بها، ستحتاجين إليها.

مـــايســـتـــا : لا احتاج إلى أىِّ شىءٍ، هى لكم. أحضروا مزيدًا من الشمبانيا.

(تقع مغشيًا عليها) ! ...

المشهد الثالث

السابقون وهارى

هارى لوثنتى : إيمبريا ! ...

إيمبريا : والأمير؟

هارى لوثنتى : أرسلنى لكى أصطحبك، بما أنكِ أتيت إلى هنا.

إيمبريا : أيعرف الأمير لماذا جئت؟

هارى لوثنتى : ربما بسبب الغيرة ...

إيمبريا : ممن؟

هارى لوثنتى : لقد رأوكِ الليلة فى السيرك ...

إيمبريا : ستظن فىَّ شيئًا فظيعًا، شيئًا يليق بك وبالأمير.

هارى لوثنتى : إنَّه شىء مسلٍ ... سيُسَرُّ الأمير لرؤياكِ. أعطنى ساعدك ...

هارى لوثنتى : أجل، خذنى. (يسمعون صراخ بالدَّاخل) ما هذا؟

ثيكو : (يدخل مسرعًا) ماذا يحدث؟

هارى لوثنتى : من الذى يصرخ؟

ثيكو : (يغلق الباب) هدوء! فليهدأ الجميع ! لا يخرج أحد !

المشهد الرابع

السابقون، ثيكو وتومي يمسكان بالأمير، ثيلستي، تريسينا، سائقو الدوق، تونو ودونينا. فالجميع فريسة لرعبٍ هائل.

شخص ما : ما هذا؟

شخص آخر : ماذا يحدث؟

ثيكو : الأمير ! ...

إيمبريا : دم !

هاري لوثنتي : أهو جريح؟ ...

بحارة وأناس : سنذهب من هنا، ما هذا؟

ثيكو : (إلى جايتانو) أغلق هذا الباب جيداً. فلن يخرج أحد من هنا. (استل جايتانو سكيناً ووقف يحرس الباب)

بيترو : أفسح لي الطريق ! أبعد أو ... ! (بعض الناس يخرجون سكاكين وخناجر)

ثيكو : الأمر يزداد سوءاً. ستأتي الشرطة وستعتقلهم جميعاً، هدوء، هدوء !

نونو : (لدونينا، بعنف) لقد كنت أنتِ ! أنتِ ! ... عليه العوض فينا جميعاً !

دونـــيـــنـــا : أجل، لقـد كنت أنـا، كنت أنا ! بسـبـبك يا أيّهـا البائس، بسببك يا أيها البائس!

إيمبـــــريا : أنتِ ! ...

دونـــيـــنـــا : لقد باعنى، ألا تعرفين؟ ... يا له من بائس، يا له من بائس !

ثيلســـــتى : لكن، هل ستتركونه يموت هكذا؟

ثـــيـــكـــو : فليكن ما يكون ! لن يخرج أحد من هنا.

هـارى لـوثـنـتـى : لا يتدفق دم، مؤشر سيئ، لن يفيق من إغمائه.

ثـــيـــكـــو : فـالشـرطة قـريبـة من هنا. لابد أنهـا قـد سـمـعت الصراخ ... إذا جاءت ينبغى أن افتح. هدوء ! وهذا الدّم ! ... (يسكب زجـاجـة) انتـهى الأمـر ! وأنتن حوله. أمـسكنَّه جـيـداً. وأنتن غنين وارقـصـن. أينَّ الهـارمـونيكا؟ إنَّهـا الشـرطة ! بسـرعـة ...، وإلا سنضيع ! (الجميع يفعلون ما أشار عليهم به)

دونـــيـــنـــا : يا إلهى، يا إلهى !

نـــونـــو : (يدفـعـهـا) إلى الرقـص ! ألم تسـمـعى؟ (دونينا، نونو، زايدة وتومى يرقـصـون الرقـصـة الإيطاليـة تارانتيلا)

المشهد الخامس

السابقون والمأمور .

المأمور : ماذا يحدث؟

ثيكو : ها أنت ترى ... لا شيء !

المأمور : نسمع صراخ ...

ثيكو : إنَّها الحفلة .. لا أحد يعرف ماذا يحدث. هناك مزاج جيد ... الأمير ينهض بصعوبة بالغة ها هو هناك ... فلنغلق الباب حتى لا يدخل أحد فى هذا الوقت. هل تريد أن تتناول شيئًا؟

المأمور : لا، ليلة سعيدة.

ليلة سعيدة (يتابع المأمور بنظراته عبر الباب من هم بالدَّاخل) استمروا، استمروا ! ... (تنهض النساء اللاتى كن بجانب الأمير مذعورات. يتدحرج الأمير تحت المنضدة)

ثيلستى : إنَّهُ ميت !

تريسينا : آه ! (غموض هائل. الجميع يريدون الخروج.)

ثيكو : لقد ضيعتمونى ! ماذا سنفعل الآن؟ لن يخرج أحد من حانتى !

نـــــونـــــو : (يُهدده) سنخرج جميعًا !

ثــــيـــكـــــو : لا جدوى من ذلك؛ فالشرطة لديها جميع أسماء الحاضرين هنا، وسيلقون القبض عليكم بسرعة. يجب أنْ ننقذ أنفسنا جميعًا.

إيمبــــــريـا : هاري، في عربتي إلى منزلي ! هذا هو الأفضل. حتى لا يعثروا عليه هنا. وبعد ذلك سنفكر ... هل أنتم مستعدون؟

هـاري لـوثـنـتـي : أجل، على الفور !

ثــــيـــكـــــو : هل ستخرجونه؟ هذا أفضلُ شيء، لكن في وقت لاحق، لابد أن ننتظر ... يمر أناس في هذا الوقت. سوف أبعد الشرطة. وأما أنتم فاذهبوا رويدًا رويدًا .. وبحذر !

بيـــــتـــــرو : بالطبع، من الممكن أن يتكلم أيُّ شخصٍ !

شــخـص مـــا : فنحن جميعًا يهمنا الكتمان.

ثــــيـــكـــــو : وأنتم لا تكفوا عن الرقص والغناء. هيا بنا !

دونـــيــــنـــا : (تقع مستسلمة) لا أستطيع أنْ أتحمّل أكثر من ذلك ... حتى لو قتلوني !

ثــــيـــكـــــو : (اقترب من مايستا) هذه لم تر شيئًا. وهؤلاء لن يقولوا شيئًا.

هـاري لـوثـنـتـي (عن الأمير) إنَّه ميت ! فجسده بارد ! ...

إيمبــــــريـا : أجل. إنَّه ميت، إنَّه ميت ! يا له من شيء فظيع ! ...

ستـــار

الفصل الرابع

المشهد الأول

غرفة صغيرة فى فيلا إيمبريا

إيمبريا والكونتيسة. إيمبريا تكتب رسالة وتسلمها للخادم. يُسمع بالداخل صوت الكونتيسة رينالدى.

رينالدى : (بالداخل) بالنسبة لى فإيمبريا موجودة على الدوام. سأؤكد لكم ذلك، لا تكترثوا. (تقوم إيمبريا على استعجال وتذهب لاستقبال الكونتيسة)

إيمبريا : كونتيسة !

رينالدى : يا لها من زيارة غير متوقعة ، أليس كذلك؟ لم يسمح لى البواب ولا الخدم بالدخول. قالوا لى إنك كنت تستريحين. لكنى كنت فى حاجة ماسة لأراكِ، فتجاهلتهم جميعًا. إننى معذورة. أراك بمفردك. عندما أتيت رأيت الأمير ميجيل قريبًا جدًا من فيلا الأميرة. لقد كان ذاهبًا لزيارتها بدون شك.

إيمبريا : بدون شك؛ ألم تتكلمى معه؟

رينالدى : لا، لقد كان يقود سيارةً صغيرةً ، بينما جئت أنا

سيراً على الأقدام؛ فإنى فى حاجة للمشى كثيراً لكى أخفف من حدة هذه التوترات. تبادلنا التحية فقط. وليلة أمس، كيف أنهيت حفلتك الساحرة؟

إيمبـــــــريا : الليلة البارحة ...

ريـــنـــالـــدى : أنتِ لست طيبةً معى، مثلما أحبك ولديك أسرار عنى. لو كانت طبيعتك مختلفة، لأمكننا فى بعض الأحيان أن نتبادل الانطباعات والمغامرات ... وهذا لأننى قررت أن أغير حياتى بالكامل، وأنهى التصرفات الجنونية. ولحسن الحظ لقد وجدت رجلاً فى الوقت المناسب، سيكون خلاصى. آه، لو كنت قابلته فى طريقى من قبل، بدلاً من الكثيرين الذين بسببهم قد عرضت اسمى وهدوئى للخطر !...

إيمبـــــــريا : وهو ....

ريـــنـــالـــدى : فهو ليس من هؤلاء الرِّجال الذين نلتقى بهم لسوء الحظ فى كل خطوة؛ فهو روح على الفطرة، إنَّهُ قلب بسيط ... فإنك تعرفينه.

أنـــــــــــا : أنا ؟

ريـــنـــالـــدى : هل رأيتِ أفيال السيرك السبعة؟

إيمبـــــــريا : كونتيسة !

رينالدى : حسناً؛ فهو المروض ... أتضحكين؟

إيمبريا : لقد قلتِ إنك انتهيت من التصرفات الجنونية.

رينالدى : أيبدو لك أنه جنون؟ إنكِ لم تعرفى خططى حتى الآن؟

إيمبريا : قولى، احكى لى. لعلها تكون أكبر الغرابات وأكثر التصرفات الجنونية غرابة ! ... أحلام، جنون، كل ما يبعد عن الواقع الذى يريد أن يفرض نفسه ! ... لو تعلمين ! ... توجد أحلام وكوابيس فظيعة تظهر بمظاهر الواقع الذى يهرب من حلمنا ويرغب فى أن ينغمس فى حياتنا ... لقد حلمت، وأنا واثقة من أنى قد حلمت بشىء يبدو لى أننى قد رأيته وسمعته بالفعل، شىء لا يمكن أن يحدث ولم يحدث ... لذلك فأنا الآن أرغب فى أشياء غريبة، تخيلات أحلام ...، إنَّها نوبات جنون لكى يختلط علينا كل شىء لكيلا نعرف متى يمكن أن نحلم بين الأشباح ومتى يمكن أن نعيش بين الواقع ...

رينالدى : مخططاتى معقولة للغاية. أريد أن أرتب جميع أمورى: سأكرّس نفسى بالكامل لإدارة ممتلكاتى. لأجل ذلك عُرضت علىَّ فرصة فريدة: إنَّها مضاربة

هائلة لكى أضاعف رأس المال ثلاث مرات فى عام واحد.

إيمبريا : أنتِ لا تعلمين كم أنا شاكرة لك زيارتك؛ فكل شيء يُنسى بجانبك.

رينالدى : إذا أخذت ذلك على سبيل المزاح ... إنَّه أمر جدى للغاية. روخو، فهو يسمَّى روخوًا ... هل كنت تعرفينه؟ إنَّه رجل شرقي ... حسنًا: روخو ليس هو روخو الحقيقى ...

إيمبريا : لا أفهم.

رينالدى : فروخو - صائب الحقيقى كان المالك السابق والمروض للأفيال؛ أمَّا الموجود الآن فهو خادمه فقط ... عندما مات روخو الحقيقى، أرملته الإنجليزية ... ورثت سبعة أفيال، وعرضت على الخادم أن يستمر فى العمل معهم بمرتب ستدفعه هى له ... لكنه استغلال حقير، بينما هو يعرض حياته للخطر ويتقاضى فقط أجرًا يوميًا حقيرًا، أمَّا الأرملة المالكة فإنها تحصل على مبالغ هائلة من الشركات ... ما رأيك؟ أليس للمظلومين حق فى أن يلعنوا المستغلين؟ فروخو المسكين كان يتحسر والدموع فى عينيه " آه - لقد قال لى - لو كانت الأفيال ملكًا

لى ولو وجدت من يريد أن يشاركنى ! ... "

إيمبـــــــريا : لا تستطردى، لقد تأثرت، تفكرين فى شراء الأفيال ... وستظلين بالسيرك ...

ريـــنـــالـــدى : أنا، لا. يا للجنون ! أنا أشتريها، وهو يعرضها، وأنا سأحصل على خمسين بالمائة من التعاقدات. ليس لديك فكرة ! إنه اثنا عشر ألف فرنك شهريًا؛ إنّه عقد لعامٍ كامل ...، والأفيال السبعة المستأنسة بمائة ألف فرنك؛ فهى فرصة فريدة ... فإنّكِ لا تعلمين كم يساوى فيل واحد ... وهذه الأفيال من الهند، من أفضل نوع، و يمكننا أن نميزها من الأذنين والخرطوم.

إيمبـــــــريا : يبدو أنك قد درست الأمر، وأنه ليس تصرفًا جنونيًا.

ريـــنـــالـــدى : ماذا عساه أن يكون؟! وفى أى شىء يمكنهم أن يوظفوا بشكل جيد تلك المائة ألف فرنك؟ ولذلك جئت لأراكِ فى الصباح الباكر؛ فأنا ليس لدى هذا المبلغ حاليًا؛ فحسابى فى بنك الائتمان يصل إلى ستين أو سبعين ألف فرنك فقط ... فهو أمر لخمسة عشر يومًا. وأنا أعرف إلى من أتجه ... ولكنى أريد

أن أعطيكِ برهانًا على الثقة والصداقة ...

إيمبـــــــــريـا : كنت أود أن أستجيب لمطلبك ...، لكن لا أستطيع الرَّد عليك الآن؛ فأنا لا أعلم عما إذا كان بوسعى أن أجهز هذا المبلغ.

ريـــنـــالـــدى : مبلغ؟ تسمين هذا مبلغًا ؟!

إيمبـــــــــريـا : سيمكننى أن أرد عليك هذا المساء، صدقينى.

ريـــنـــالـــدى : هذا المساء .. أعرف أن التأخر سيكون دلالاً من جانبك. فالأمير لا يرفض لكِ شيئًا، ولا يستطيع أن يرفض لكِ شيئًا ... ! أنت ترين أنى قد تكلمت معك كصديقة حقيقية، وصداقتك قد كلفتنى التضحية بصداقات أخرى؛ لا لأنى أريد تشجيعك ...

إيمبـــــــــريـا : سأرسل لك الرَّد (خادم يبلغ)

ريـــنـــالـــدى : صاحب السمو.

المشهد الثانى

السابقون ، والأمير ميجيل

الأمير ميجيل : كونتيسة ! (لإيمبريا) كيف حالك؟

إيمبريا : بخير ... قالت لى الكونتيسة إنَّها قد رأتك فى طريقك إلى فيلا الأميرة. أكنت هناك؟

الأمير ميجيل : أجل، كان يجب علىَّ أن أتناول الغداء هناك. لكن ألا تعرفى ...؟

إيمبريا : ماذا؟

الأمير ميجيل : سأقول لك ... لم أستطع الذهاب إلى السيرك ليلة أمس، كما كنت أفكر، برقية جديدة من سوابيا أجبرتنى أن أبحث عن الدوق.

إيمبريا : ماذا حدث؟

الأمير ميجيل : لم يحدث شىء.

رينالدى : يا صاحب السمو ...، أفهم أنه ينبغى أن تتكلم مع إيمبريا.

الأمير ميجيل : لا يوجد شىء مُلح.

ريــنـــالــدى : فــإنك تعـلـم أنى إذا اســتــغــنيت عن الدعــوات عنـدما يستغنون عنى ظلماً، فإنى لست فى حاجة إليها لكى أعود إلى المنزل من تلقاء نفسى عندما أخاف أن أكون غير رزينة . إلى اللقاء يا صاحب السمـو ... صـديقتى العـزيزة، فـإنى لن أخـرج من المنزل طوال المســاء، ســأنتظر ردك. (تـخـــرج الكونتيسة)

المشهد الثالث

إيمبريا والأمير ميجيل

الأمير ميجيل : كم كلفتك زيارة الكونتيسة؟

إيمبريا : أرى أنك تعرفها جيداً.

الأمير ميجيل : أجل، وتحكي دائمًا بالمقابل حكايات مسلية؛ فمغامرتها الجديدة تساوى أية أموال. فقد اخبرنى بها ليوناردو. سوف تعرفينها؛ فإنها حكاية سيرك ... ودونينا، ألم ترينها ليلة أمس؟ سترين إنى لا أشك فيك؛ فأنا أصدق كل ما تقولينه لى.

إيمبريا : أحسنت صنعًا. لقد كنت نبيلاً وكريمًا معى. فإخلاصك جدير بإخلاصى. لم تحاول أن تحبسنى إلى جوارك لمصلحة شخصية، أعطيتنى ذات مرّة ثروةً هائلةً لكى أسترد بها حريتى. وقلت لى "أنا لا أريد عبيداً". وبمنحك لى حريتى فقد أجبرتنى على الامتنان لك للأبد.

الأمير ميجيل : إلى الأبد؟ فروحك قلقة، طموحة ومتطلعة إلى أحلام كبيرة، وأنا لا أريد سوى أن تتشابه جميع الأيّام، وتمر

كـأنَّهـا يوم واحـد، بدون قلق، بدون هم ... إن تهـديد الإمبراطورية يقترب من جديد ... مات الأمير الصغير ...

إيمبـريا : مات؟ ...

الأمير ميـجيل : لقد ولد بنفحة حياة ... فقد أرسلوا إلى برقية جديدة بعد قليل من استلام البرقية التى أعلنت ميلاده. يريد الإمبراطور أن يعود الأمير فلورنتيو ووالدته إلى البلاط الملكى، يريد أن يتصالح معه ... ربما يفكر فى التنازل عن العرش؛ فإنه مرهق جداً والشعب يهدد بثورات. وليس من الممكن أن تكون هناك إمبراطورية استبدادية ... وصحة الأمير فلورنتيو تتآمر على. فها أنا أقترب من العرش مرة أخرى.

إيمبـريا : تقترب بشدة ... الأمير فلورنتيو لا أكثر من ذلك ... وهل رأيته اليوم؟

الأمير ميـجيل : لا؛ فقد كنت فى الفيلا، كان ينبغى أن أتناول الغداء هناك، لكن والدته المسكينة ستموت من الحزن ... فـ فلورنتيو لم يعد منذ ليلة أمس.

إيمبـريا : ولا يعرفون ...

الأمير ميـجيل : لا يمكن أن يكون قد حدث له شيء. لابد أنه قضى الليلة فى أىّ كوخ، وبما أنه لم يخرج بالنهار ... أرسلت رسالة إلى رئيس الحرس.

إيمبــــــــريـا : تقول إن والدته ...

الأمـيـر مـيـجـيل : سيكلفها حياتها ، لا يمكنها أن تتعود، فإنها في ذعر مستمر. لقد كانت اليوم قلقة أكثر من أيٍّ وقت أخر، تقول إنَّها قد استيقظت فزعة في منتصف الليل، ويبدو لها أنَّها سمعت صرخه ....

إيمبــــــــريـا : في منتصف الليل ...

الأمـيـر مـيـجـيل : ويبدو لها انه هاجس سيئ ... فأنا نفسي بدأت أقلق، على الرغم من أني واثق من أنَّه لم يحدث شيء، وإلاّ كنا سنعرف ... فالشرطة كانت تراقبه ... مستحيل. ولم ير أحد هاري لوثنتي أيَضًا في أيٍّ مكان. لن يتأخر السيجنوري في إبلاغي أي خبر.

إيمبــــــــريـا : أتعرف أين كان؟

الأمـيـر مـيـجـيل : لقد كانوا يعرفون، ومع من كان ... إذا لم، فمن الممكن أن ... أتعتقدين أنتِ الأخرى أن يكون قد حدث له شيء؟

إيمبــــــــريـا : تلك الصرخة التي سمعتها والدته ! ... ألا تعتقد بأن الأرواح يمكنها أن تناجي بعضها من بعيد، نعم، لابد أنه كان يفكر في والدته، لذلك صرخ قائلاً... "يا أماه!" ... وسمعت أمه الصرخة.

الأمير ميجيل : ماذا تقولين يا إيميريا؟ أتهذين؟

إيمبريا : أقول، لو أن شيئًا حدث له بالفعل. نعم ... يجب أن يُخشى كلُّ شيء، يجب أن ننتظر أى شيء. (يدخل خادم.)

الخادم : يريد السيد رئيس الحرس أن يراك يا صاحب السمو.

الأمير ميجيل في الحال، سنعرف قريبًا ... (يخرج الأمير.)

المشهد الرابع

إيمبريا، وبعد ذلك، هارى لوثنتى. تستمع إيمبريا عند الأبواب. يظهر هارى لوثنتى مرتديًا نفس الزِّى، شاحب، وتبدو عليه علامات السُّكر، يظهر عند أحد الأبواب.

إيمبريا : من؟ آه ! لماذا أتيت إلى هنا؟ لا تتركه وحيداً.

هارى لوثنتى : بوسعه أن يظل بمفرده؛ فإنه لا يتحرك. أسمع أنهم كانوا يتكلمون .. أهم يعرفون الآن ...

إيمبريا : لا، ... إنهم يبحثون، سيعرفون ذلك قريباً . ربما فى هذه اللحظة. ارجع إلى هناك كيلا يرونك، لا تتركه وحيداً.

هارى لوثنتى : إنه مغطى جيداً، تحت قماش من الديباج، يليق بأن يكون كفنًا لإمبراطور. يا لها من ميتةٍ حقيرة، مثل حياته ! ... لقد كان لويس دى بافيرا آخر ملك ...

إيمبريا : آه ! صه، صه ! لا أريد أن أسمعك ... لا أريد أن أسمعك ... فأنت مثله ... كان لابد أن تموت هكذا؟ وليس مهما على أيدى من؟

هـارى لـوثـنـتـى : أتعتقدين أن هذا عقاب من السماء؟ ... لا تصدقى هذه الأشياء يا إيمبريا؛ فإنَّها صدفة محضة، صدفة محضة؛ فهناك الكثير من المحتالين الذين يموتون فى سريرهم وفى سن الكهولة وأولادهم يباركونهم.

المشهد الخامس

السابقون وليوناردو

إيمبريا : ليوناردو ! لقد تأخرت كثيراً !

ليوناردو : لقد استلمت رسالتك الآن. آه، هارى ! ... ماذا تفعل هنا؟

هارى لوثنتى : ستقول لك إيمبريا ... أنا؟ يا لها من مهنة حزينة ليس فيها عمل سوى التفكير الدؤوب ... صمت ! (ينصرف)

المشهد السادس

إيمبريا وليوناردو

إيمبريا : منذ أن افترقنا وأنا لا أعلم ماذا تظن بى يا ليوناردو، وماذا ستكون ذكرياتك. وأنا أعلم أنه فى اللحظات الحاسمة لحياتى، عندما يتحدث القلب عن عواطفنا الحقيقية، لم أفكر فيك سوى كصديق وفى وموثوق فيه؛ فهل أنا مخدوعةٌ؟

ليوناردو : لا يا إيمبريا؛ فنحن افترقنا بدون كراهية وبلا نزاع. لقد كنت تحبين الحياة وكنتِ تريدين تحقيق حلمى...، فكرة عملى الفنى ... أنا، بينما كنت أنا أهرب من الحياة، لجأت إلى أحلام التفكير ... لقد فرقنا الواقع ... أخبرينى لماذا استدعيتنى؟

إيمبريا : لكى تدمر الواقع الذى يريد أن يفرض نفسه على حياتنا. فكرتك، حلمك، عرش إيمبريا ... ها هو قد اقترب! فإنه غير موروث، لا؛ فالبائسون لا يرثون العرش، لكن الآن لدينا القوة للإطاحة به، فالذكاء الذى يجعلنا قريبين منه ولنحكم دون أن نكون

ملوكًا. أتتذكّر؟ قلت لك إننى ذاهبة إلى سوابيا لأتوج إمبراطورةً ؛ فأنا لست إمبراطورة، لكنى أحكم فى قلب إمبراطور، أنا أعرف أن حياته ملكى؟ فأنا أعرفه، أنا أعرف، لا يمكنه أن يعيش بدونى، ماذا تقول؟ أنها إيمبريا عملك الفنى ... إنها روحك التى تُشجعنى ... فهى من صنع أحلامك الفنية.

ليوناردو : أجل، يا إيمبريا، يا حبى، إنك حبى الوحيد ، عيشى من أجلى، وانتصرى لى؛ فأنا لم أعرف سوى أن أحلم.

إيمبريا : أجل، سأنتصر ... لكن لابد من أن أحطم الواقع ...، يموت ولى عهد سوابيا ... والإمبراطور العجوز يتنازل عن العرش ...

ليوناردو : إذن ...، الأمير فلورنثيو ...

إيمبريا : لقد مات الأمير فلورنثيو.

ليوناردو : مات؟

إيمبريا : أجل، لقد قُتل هذه الليلة أمامى، لا، فأنا نفسى التى قتلته.

ليوناردو : أنتِ، ماذا تقولين يا إيمبريا؟ فإنك تهذين !

إيمبريا : أجل ...، أنا ...، أنا ! فنحن سواء. دونينا، ابنتى ... كانت تدافع عن شبابها، عن براعتها، عن حبها.

كان انتقامًا لكل المرات التى استسلمنا فيها من قبل. ألا تصدق؟ انظر، فإنه نفس خنجره. إنَّه مثل الذى لديك، خنجر صغير ثمين، إنّه جوهرة منقوشة بفن، والمقبض من الذهب والأحجار الثمينة. يقولون إنه كان يستخدمه فى التهديدات والمداعبات. كان يسـأل "أتقـدرين على قـتلى؟". "قـبلة واحـدة أولاً ويصبح لك" ، وكان يعرض المقبض الذهبى كما لو كان جوهرة ذهبية؛ فعندما أحسَّت ابنتى دونينا بقبلاته قامت بغرس نصل الخنجر فى قلبه. لا، فأنا لا أهذى؛ فإنها ليست أشباح حفلات الساحرات ... أتتذكر؟ لقد قلت عندما ودعتك: "إنَّها ليلة السبت". فأشباحها المرعبة تتبعنى فى الواقع: لقد وصلت إلى هنا. أتريد أن تراه؟ إنه هناك؛ فهارى لوثنتى يسهر على جثمانه.

ليــــوناردو : لا، لا يمكن ! هذا لم يحدث. فإنك تحكين لى حلمًا، كابوس.

إيمبــــريا : أنا أيضًا كنت اعتقد ذلك. عندما وصلت إلى هنا نسيت كلَّ شىء، منذ لحظة كنت أتكلم وأضحك مع الكونتيسة ...، وكان كل شىء يبدو لى بعيداً حتى الآن، كأنه كابوس من عالم آخر، كابوس من الحفلات الساحرة لأرواحنا الشريرة، لكنها الحقيقة

يا ليوناردو؛ فإنها الحقيقة.

ليـــــــوناردو : إذن ...، ماذا تنتظرين؟ إذا علموا أنَّك ...

إيمبــــــريا : أنا لا أخاف شيئًا؛ سأحارب وسأنتصر؛ فالأشباح لا تخيفني. سيأتون قريبًا، ربما يعرفون ... ها أنت ترى؛ فأنا هادئة. سترى كيف سيصمت الجميع.

ليـــــــوناردو : لا يا إيمبريا؛ فجسدك يرتعد. إلى ماذا تنظرين؟

إيمبــــــريا : لا، لا، فأنا هادئة. هدوء ! إنهم قادمون.

ليـــــــوناردو : سيعرفون ...

إيمبــــــريا : سأقول لهم أنا بنفسي إذا لم يكونوا قد عرفوا.

المشهد السابع

السابقون، والأمير ميجيل، والسينجنورى

الأمير ميجيل : يريد السيد رئيس الحرس أن يتكلم معك يا إيمبريا. ليوناردو، معذرة، لم أكن أراك.

ليوناردو : صاحب السمو ...

الأمير ميجيل : (للسيجنورى) إذا كنتما تريدان التحدث على إنفراد، سأرافق ليوناردو.

إيمبريا : لا، فأنا أريد أن تحضر أيضا التحقيق؛ لأنى أظن أنَّ السيد رئيس الحرس يرغب فى استجوابى.

سيجنورى : بالفعل.

إيمبريا : إننى أريد الإجابة فى حضور أصدقائى؛ فوحدى أمام سلطة رئيس الحرس ربما أجبن بما فيه الكفاية.

لسوء الحظ، تزداد - بمرور الوقت - المؤشرات

الأمير ميجيل : التى تشير إلى أنه قد حدث شىء خطير للأمير فلورنثيو. لم يره أحد طوال النَّهار؛ فلم يكن من الممكن معرفة مكانه.

سيجنورى : من المعروف أنَّه كان ليلة أمس بمطعم إيطالى رخيص لشخص يُدعى ثيكو، وهذه هى قائمة الأشخاص الذين كانوا هناك، قائمة لهم جميعًا ... اقرئيها . أينقصها أحد؟

إيمبريا : لا.

الأمير ميجيل : إن اسمك فى هذه القائمة ...

إيمبريا : هذا دليل على أن رجال الشرطة يخدمون السيجنورى على أكمل وجه.

سيجنورى : إذن من الممكن أن يكون صحيحًا أن الأمير قد خرج من المطعم قبل شروق الشمس وعلى ما يبدو وهو سكران بعض الشىء، ويستند على هارى لوثنتى وصاحب المطعم، وقد صعد إلى عربتك ووصل إلى منزلك. ووصلت أنتِ بعد ذلك بقليل فى صحبة فتاة من السيرك تُدعى دونينا التى لابد من أنك تعرفينها؛ لأنَّها لم تكن المرَّة الأولى التى رأوكِ معها .

الأمير ميجيل : يعرفُ السيجنورى من هى دونينا، وما العلاقات التى تربطك بها .

سيجنورى : فأنا أعرف كلَّ شىء، ماعدا بعض الأشخاص الذين يوجدون بمنزلك بدون شك، فجميع من كان

برفقة الأمير ليلة أمس تمَّ اعتقالهم محاولاً ألا يُعرف شيء ؛ فالموضوع حساس للغاية، وارتكاب أية حماقة يمكن أن تحرج أشخاص مهمين لا يمكن أن يعاملوا كالسوقة من المجرمين؛ فالذى يستجوبك الآن هو الصديق يا سيدتى. كل من كانوا مع الأمير يؤكدون بأنَّه قد خرج من هناك فى الوقت نفسه الذى خرجت فيه كما قُلت من قبل. هل كانت مغامرة غرامية؟ أم مكيدة سياسية؟ هل يوجد الأمير فلورنثيو بالفعل بمنزلك؟

إيمبريا : فالأمير فلورنثيو بمنزلى. أنا التى أحضرته، لكنى قد أحضرته ميتًا !

الأمير ميجيل : ميت !

سيجنورى : ميت !

إيمبريا : أجل، فقد انتحر الأمير فلورنثيو.

سيجنورى : ماذا تقولين يا سيدتى؟

الأمير ميجيل : مستحيل !

ليوناردو : ماذا تحاولين؟

إيمبريا : (بثبات) لقد انتحر ! عكس كل ما تعرفونه، عكس كل ما ترونه فهذه ستكون الحقيقة.

سيجنورى : لا يمكن تصديق هذا . لا شىء يشير ...

الأمير ميجيل : سنذهب بسرعة ...

إيمبريا : اسمعونى أولاً. إنه اغتيل؛ فهذه هى الحقيقة التى أعرفها، والتى رأيتها، لكن لا يمكن أن يكون أحدٌ مسئولاً عن هذا الاغتيال، وتحاولون تتبعه وعقابه، إذا كنتم تنوون إيضاح الحقيقة؛ فالحقيقة ستضيع إلى الأبد، والكذب والافتراء والفضيحة ستورطنا جميعًا فى نفس الجريمة، جميعًا حتى هؤلاء البؤساء الذين بمظهرهم فقط يروجون لحقارة هذا الأمير البغيض، وستورط أيضًا إمبراطور سوابيا نفسه الذى يمكنه أن يدفع لهذا القاتل إذا أعاقه فى أن يكون وليًا لعهد الإمبراطورية.

الأمير ميجيل : يا لها من فضيحة !

سيجنورى : سيدتى ! ...

إيمبريا : أجل، فقد كنت هناك، عشيقتك، عشيقة الأمير ووريث العرش. لا أحد يعرف لماذا كنت أنا هناك، يمكننى اتهام نفسى واتهامكم جميعًا؛ فللأمير أنصار فى سوابيا ومجد الاستشهاد يلائم ذكراه جيدًا. وإذا أردتم أن تخدعوا الجميع، إذا أردتم الإفصاح عن الحقيقة؛ أفصحوا عنها، وسنقولها نحن أيضًا، قولوا ماذا كانت حياة أميركم، احكوا جرائمه ورذائله، لطخوا ذكراه ، وستعم كراهية العالم واحتقاره جميع أقرانه.

المشهد الثامن

السابقون ودوق سوابيا

خادم : يا صاحب السمو !

الأمير ميجيل : من؟

الدوق : قد علمت الأميرة بوجود الأمير هنا يا صاحب السمو، وتريد أن تراه، ولم يكن من الممكن منعها.

الأمير ميجيل : لا، خذوها من هنا. تعالوا بسرعة !

الدوق : أجل، لا تتركوها، لا تخبروها ...

(يخرج الأمير ميجيل، السيجنورى ودوق سوابيا)

المشهد التاسع

إيمبريا ، ليوناردو وبعد ذلك دونينا

ليوناردو : أتعتقدين أنهم لن يقولوا الحقيقة؟

إيمبريا : لا، فهم خائفون؛ فالحقيقة ترعبهم. ألا ترى أنى أعرف حقيقة حياته ودسائسه وجرائمه ودناءته؟ لن يتكلموا: فصمتى مقابل صمتهم. فالأمير لم يُقتل، وليس هناك أحد مسئول عن موته، كان كابوسًا. أترى؟ من الممكن تحطيم الواقع، من الممكن الانتصار عليه، يكفى أن تريد وتهرب كالشبح.

دونينا : (بالداخل) اتركونى، اتركونى ! ... (تدخل) أمى ! أمى ! ...

ليوناردو : أهى ابنتك؟

إيمبريا : أجل، ابنتى ! لماذا تهربين؟ لماذا ترتعدين؟

دونينا : احمينى، خبئينى ! سيأتى من أجلى. لا تهمنى الحياة ؛ لكيلا يرونى ولا يكلمونى ...، لن أقول شيئًا ...

إيمبريا : ليوناردو، خذها بعيداً من هنا !

ليوناردو : ليس من الممكن أن نخرج من هنا دون أن يرونا .

دونينا : فليقتلوني ! لا يهمني أيّ شيء ... لكني رأيته مرّةً أخرى ... سأراه دائمًا ...

إيمبريا : أنت؟

دونينا : أجل، فقد استيقظت أرتعد من الرعب ... كنت أريد الهروب، وخرجت أجري بدون أن أعرف ! ... رأيته، رأيته ، وسأراه دائمًا ! سيصيبني الجنون !

إيمبريا : سكوت ! أتسمع يا ليوناردو؟

ليوناردو : أجل؛ إنها الأميرة ... تبكي ! ...

إيمبريا : لا، لا تسمع ... فليس هناك ما يدعو !

دونينا : أجل، تبكي ! ... فهي والدته التي تبكي ! ... أنا أسمعها تبكي ! أتسمعان؟ الآن أكثر قربًا، في كل مرة البكاء أكثر قربًا ...

ليوناردو : إنهم قادمون إلى هنا ... وبلا شك سيمنعونها من الدخول ...

إيمبريا : انتظروا ... فهم الآن يمرون ... آه، لنذهب، لنذهب من هنا !

دونينا : أتسمع كيف تصرخ "ولدي، ولدي !" ؟

إيمبريا : لنذهب من هنا، لنذهب ! ...

دونـــيـــنـــا : لا ! ... سأسمعها دائمًا، دائمًا ! ... "ولدى، ولدى!"

إيمـبـــــريـا : لن أحتمل اكثر من ذلك يا ليوناردو ! فلم يكونوا أشباحًا؛ فالواقع لا يتحطم ! ... فهو يخترق حياتنا ويهزمنا ... هذه الأم التى تبكى على ولدها وابنتى التى ستموت من الرعب والألم؛ فهم يتشبثون بقلبى ويمزقونه ! ... ولا يمكن أن نفعل شيئًا فليحدث ما يحدث ! ...

لـيــــونـاردو : لا يا إيمبريا ! فلديكِ إرادة قوية ... لا تدمرى حياتك هكذا. كافحى، انتصرى ! ...

إيمـبـــــريـا : لا، لا ، اتركنى ، لا تفكر فى ! ... أنقذ ابنتى يا ليوناردو ، أنقذ ابنتى !

ستـــار

الفصل الخامس

المشهد الأول

حديقة فى فيلا إيمبريا

دونينا، وليوناردو ، ونونو.

ليـــــوناردو : اليوم لن نعمل أكثر من ذلك يا دونينا.

دونـــيـــنـــا : إنَّنى لا أتعب، إذا كان هذا من أجلى فلا ...

ليـــــوناردو : ها أنا أعرف؛ فإنكِ قوية. لا خوف على صحتك بعد الآن. ليست الموديل التى تتعب، وإنما الفنان الذى يتعب. ومن الذى يعمل اليوم؟ يا له من يوم جميل ! إننا نحن الرِّجال - لأعيادنا أو حفلاتنا البائسة - نتوسل ضارعين للسماء أن تمن علينا بأيام مثل اليوم؛ فاليوم الطبيعة فى عيد ومعها كلُّ الحق فى أن تطلب منا ألاَّ نعكِّر صفو هدوئها الإلهى. أنعمل اليوم؟ لن يحدث هذا ولو فى أذهاننا. ولكى نستمتع بيوم كهذا فى حياتنا يكفى أن ترى العيون، وأن يتنفس الفم، وأن ترى العيون أيضا كل سنا السِّماء ، وأن تُشم جميع عطور البحر

والأرض ... هل أنت حـزينة يا دونينا ؟ لماذا أنت حزينة دائمًا ؟

نــــونــــو : فهي تخاف من الموت.

ليـــــوناردو : ألا تعلمين أن الأطباء قالوا إنَّكِ بخير؟ والآن أنت سعيدة، أتفكرين في الموت؟ ألستِ سعيدة يا دونينا؟

دونـــيـــنـــا : سعيدة جدًا ، ولهذا فإني خائفة.

نــــونــــو : هل يُرى يخت الأمير ميجيل من هنا؟

ليـــــوناردو : أجل، يجب أن يُرى، ها هو هناك. لقد وصل هذا الصباح.

دونـــيـــنـــا : لماذا يعود الأمير ميجيل؟ ألم يقولوا إنه ذهب ليُتوج إمبراطورًا ؟

ليـــــوناردو : لا أعرف أيَّ شيءٍ يا دونينا. يجب ألا يهمنا شيء؛ فإمبراطورية سوابيا بعيدة جدًا.

دونـــيـــنـــا : فهي لا تزال قريبة جدًا.

نــــونــــو : لِمَ لا نركب السفينة كما فعلنا بالأمس؟ هل سنمضي المساء بالكامل هنا؟

دونـــيـــنـــا : أسئمتَ ؟

نــــونــــو : أنا، لا ؟ لكن هواء البحر يناسبك؛ فلن نخرج من هنا أبدًا.

دونـــيــــنـــا : إنه جميلُ جداً ! ...

نـــــونـــــو : أجل، ولكنه ممل؛ فالإنسان كالسجين ...

دونـــيــــنـــا : كالسجين ! ... ،

لـيـــــونـاردو : (بصوت خفيض) إنك تتظاهر بشكل سيئ يا نونو !

نـــــونـــــو : إننى لا أطيق هذه الحياة أكثر من ذلك.

المشهد الثانى

السابقون وإيمبريا

إيمبريا : لقد انتهى العمل اليوم مبكراً؛ أليست دونينا على ما يرام؟

دونينا : لا ، لقد كان ليوناردو.

ليوناردو : نعم، أنا، أنا ...، فأنا دائمًا كسول، لم يبق سوى القليل وننتهى.

دونينا : لو ترين كم يشبهنى !

إيمبريا : لا أريد أن أرى العمل حتى يكتمل. أهو يشبهنى عندما عرفتنى، عندما كنت موديلا لك؟

ليوناردو : لا يا إيمبريا، بصفة عامة هناك شبه ما، لكن التعبير مختلف تماماً، لقد كنت مفعمة بالحياة ... فدونينا لا يمكنها الصعود بين الصخور والوصول إلى عرش.

إيمبريا : لماذا؟ لا، صوِّر جمالها الحزين كما هو، صوّر ذلك فقط، لا تعبر عن أية فكرة فى تمثالك؛ فقد كان

تمثالى لِكى يحظى بإعجاب الجميع، لكى ينتصر إلى الأبد ...، وهذا التمثال من أجلى، من أجلى أنا فقط، فليعرف فنك كيف يسلب من الموت كل ما يستطيع من تلك الحياة التى لا يمكن أن ننقذها بطريقة أخرى.

ليوناردو : لقد قلت إننى قد تعبت، لكن أرعبنى شحوبها وتنفسها بصعوبة. ليس هناك مفر !

إيمبريا : وهم يؤكدون أن من يموتون هكذا لا يعرفون أبداً أنَّ الموت سيأتيهم ... ودونينا لا تتكلم إلا عن الموت فقط؛ فهى تعرفه وتنتظره ...

ليوناردو : لا تصدقى ذلك. إنها هواجس مريض؛ فهو نفس الخوف من الموت. فهى تعلم أنه عارض مشئوم يكمن فى عدم المعرفة بأنها ستموت وتتظاهر بأنها تعرفه لكى تخدع نفسها ...، لكن تُصدقه. (يُسمع ضحك دونينا)

إيمبريا : تضحك ! ... فهى فرحة ! ... فهى سعيدة ! ماذا تفعلين يا دونينا؟

دونينا : أقطف زهوراً وورودًا من أجلك. أليست هذه زهرتك المفضلة؟ لقد كنت أضحك؛ لأن نونو كان يحكى لى حكاية بخصوص الورد ... قصة وقحة ... لكن

مضحكة جداً ... مثل الحكايات البذيئة التى يعرفها ... فهى حكاية ورود حديقة دير: وصل الشيطان إلى الدير وربط فى كل شجيرة ورداً شيطانياً صغيراً ذا لون وردى، مفعم بلون الورد، ويبدون وكأنَّهم ملائكة صغار ... والراهبات المساكين يعتقدن أنَّ الشجيرات والشياطين كن يرتكبن الخطيئة، ولكيلا يثرن الفضائح أردن إخفاءها فى زنزاناتهن، لكن الشياطين اللئام هربوا، جروا وقفزوا ... وقاموا بآلاف من الأفعال الشيطانية؛ قاموا بالغناء فى الجوقة، ورقصوا على أنغام الأورج، غيَّروا دقات أجراس البرج، وفى النهاية ...، لا، لن أحكى النهاية ... فهى مضحكة جداً؛ فهى تخجلنى ... احكيها أنت يا نونو يضحكون كما ضحكت أنا.

نونو : يا للحماقة ! تعالى لتقطفى مزيداً من الورود.

إيمبريا : اضحكى، اضحكى يا دونينا ! آه ، ليوناردو ! لماذا سنضيع حياتنا فى أحلام طموحة؟ فالحياة الحقيقية هذه: التى تتولد عن الحب الذى بداخلنا ... فضحكة الابن هى السبب الحقيقى الوحيد الذى يمدنا بالحياة، وهى التى تستحقه حياتنا !

ليـــــــــونـاردو : إذن ...، ألن تذهبى إلى سوابيا؟ والأمير ميجيل، قد عـاد فـقـط من أجلك ...، سـيـذهـب وحـده ليـحـكم الإمبراطورية.

إيمـبـــــــريـا : فـهـو يؤكـد أننى إذا لـم أعـد مـعـه، لن يقـبل عـرش الإمبراطورية، وستضلُّ سفينته اتجاهها للأبد فى البحار متجهة إلى دولة مجهولة؛ حيث سيعيش دون أن يدرى أحد بوجوده ... فروحه المتراخية لا تجد طاقة فى أحد سواى.

ليـــــــــونـاردو : وأنتِ ...

إيمـبـــــــريـا : طالما أن ابنتى على قيد الحياة؛ فحياتى هنا.

ليـــــــــونـاردو : سيكون ذلك لوقت قصير جداً ! ...

إيمـبـــــــريـا : فقبل الآن لم أرغب أبداً فى أن أوقف الحياة ... وفى يوم مـثل هذا يبـدو أنه لا يمكن أن تموت أبداً ، إنه لا يمكننا أن نمر بالدنيا مـثل الأشباح لكى نتأمل بمرورنا الأرض والبـحـر والسـمـاء؛ فـهى تُنبـئنا بخلودها ومـوتنا فى آنٍ واحـد ... ستكون حـيـاتنا سـخرية قاسية ! لا يوجد فينا شىء لا يموت؛ فهو أكثر خلوداً، وأكبر من هذا البحر وهذه السماء.

ليـــــــــونـاردو : لكن، مـا الذى فـى حـيـاتنا يسـتـحق أن يكتب له

الخلود؟ أهو ما كنا عليه، أم ما نتظاهر بكوننا إيَّاه، أمّ ما أحببنا، أم ما حلمنا به؟ أين هى حياتنا الحقيقية؟

(يرجع نونو ودونينا ومعهما باقة من الورود)

دونينا : انظرى إلى جمال هذه الورود المختلفة الألوان ! ... أحضرها إلى هنا يا نونو... فلقد قطفناها كلها ... وماذا يهم؟ غداً ستمتلئ الأشجار بورود أخرى.

إيمبريا : لا توجد زهور أجمل من ذلك.

ليوناردو : ولا أكثر تعبيراً عن الحياة. فيه جميع ألوان الأجساد: حمراء مثل الدم، مثل الشّفايف الملتهبة والمتوردة، مثل جسد الطفل ؛ برائحة العنبر، وبها مسحة من اللون القرمزى مثل لوحات تيسيانو العارية مثل تلك الثريات فى الحياة الدنيا أو مثل آلهة روبينز[1] ...، تلك الآلهة المصابة بفقر الدم الشاحبة اللاتى تشبهن يدى العذراء.

دونينا : وهؤلاء ذوات اللون الأصفر مثل الشمع، ومثل الموتى.

(١) روبيز : رسام إسبانى (١٥٧٧ – ١٦٤٠) ومن أشهر أعماله "حدائق الحب" (١٦٣٥ ، فى متحف البرادو) .

ليـــــــوناردو : اصمتى يا دونينا! لا؛ فكلها مفعمة بالحياة، لا يوجد بينها من يتكلم عن الموت ... انظرى كيف تعيش.. هكذا، وهى ملفوفة، تشبه السيدات الصغيرات ، بتنوراتهن وورق تيجانها ... انظرى إلى هذه، فهى تبدو مثل الماركيسى بومبادور اللطيفة وهى ترتدى حزام تنورتها من أوراق الورد، بساقها وخصرها الرشيق، وهاتان الورقتان الخضراوان على الجانبين مثل الأكمام المكشكشة ... ولكن ينقصها شىء ...، سترين: سأشكل تاجًا صغيرًا لرأس جميلة على رقبة ماركيستى الرقيقة، تلك الرقاب التى تُعد للمقصلة كما يقول الشاعر ... فهى تشبه أميرة إسبانية بملابسها الأنيقة. وهذه من الحرير الأحمر المخملى، مثل زوجة رئيس البندقية المنتصرة ... أليس صحيحًا أن تلك الورود وهى ملتفة تشبه السيدات؟

دونـــــيـــــنـــــا : هذا صحيح. يا للطفها ! فإنها تشبه السيدات! انظر يا نونو ... لا تنظر، فأنت قادر على أن تصدق أنها نساء وتقع فى حبهن ... قبل أن يحدث هذا سأنتزع أوراقها جميعًا. خذ، خذ ... (تُلقى عليه بالورود)

نــــــونـــــــو : إنَّها مـعركـة زهور ... انتظرى. (يلقـى عليـهـا أيضًـا بالورود)

دونـــيــــنـــــا : انتظر أنت ... (يخرجان وهما يجريان ويلقيان على بعضهما البعض الزهور)

إيمبـــــــــريـا : لا يمكن أن يكون الموت يا ليـــونـاردو؛ فـــدونينا سعيدة.

ليــــــــونـاردو : إنَّها سعادة مزيفة. فأنتِ تعلمين كم تكلفك.

إيمبـــــــــريـا : نعم ... فدونينا لا يمكنـهـا العيش بـدونه ... ورغم كل شيء. فقد أجبرته على المجيء، وهو لدى الآن خاضع بسـبب خـوفـه وحـرصًـا على مـصلحـتـه ومـضطر للتظاهر بالحب؛ فـقـد أراد هذا البـائس أن يهرب، ولكنى هددته بأن أصطحبه إلى سوابيـا رغمًا عنه متـهمًا بقتل الأمير فلورنثيو، وقد صدَّق ذلك ... وما أهمية أن أكذب إذا كانت ابنتى دونينا قد صفحت عنه، وهى الآن سعيدة، وتعتقد أنَّها مـحبوبـة أكثر من أىٍّ وقت آخر، وتموت سعيدة بـوهمها؛ فبدون هذه الخدعة كانت ستموت يائسةً وحزينة من الحسرة والخيانة.

ليــــــــونـاردو : وهل تعتقدين أنَّ نونو سيتظاهر لوقتٍ طويل؟

إيمبـــــــريـا : أنا لا أثق فى فضـائله، ولكنى أثق فى حرصـه على مصلحته؛ فأنا هنا لكى أجبره.

ليــــــونـاردو : تتوقف عربة الكونتيسة رينالدى عند مدخل الحديقة.

إيمبـــــــريـا أتت بها رغبتها فى معرفة عما إذا كنت سأعود إلى سوابيا . ربما تكون قـد رأت يخت الأمير. أخبـرها أنى لست هنا؛ ودعـها سريعًا؛ فـهى امرأة بـغيضـة بالنسبة لى ...

ليــــــونـاردو : بغيضة ! لماذا؟ فهى شبح حزين اخر يمر بالحياة؛ دؤوبة فى بحثها عن المثاليات ... (تخرج إيمبريا)

المشهد الثالث

ليوناردو والكونتيسة

ريــنـــالـــدى : ليوناردو !

ليـــــوناردو : عزيزتى الكونتيسة ! هل أخبروك أن إيمبريا ليست هنا؟

ريــنـــالـــدى : لم أسأل. لم يعترضنى أحد؛ فقد كنت واثقةً من أننى سأقابل أحداً . منذ أن بدأت إيمبريا تعيش فى عائلة ... وأنت أصبحت من أكثر مقربيها ...

ليـــــوناردو : دائمًا كفنان.

ريــنـــالـــدى : فكل شىء يعود فى وقته، إذا لم يذهب إلى غير رجعة، لكن كن حذراً ؛ فالأمير ميجيل قد رجع أيضًا على الرغم من كل شىء.

ليـــــوناردو : على الرغم من كل شىء؟ فقد فكَّر فى أنه سيعود دائمًا.

ريــنـــالـــدى : كان يبدو أنه بعد انتحار الأمير فلورنثيو ... انتحار، لاحظ كيف أحترم الحقيقة الرسمية.

ليـــــوناردو : فإنها الحقيقة الوحيدة التى نعيش بها بعد كل شئ.

رينالدى : فأسوأ شىء هو أنَّ النَّاس تحترمُ أكثر ... الكذب القابل للتصديق ... بما أنَّه لم يتمكن أحد من تفسير هذا الانتحار ! ...

ليوناردو : اسألى رئيس الحرس.

رينالدى : لم يبق إلا هو؛ فهى جريمة قد أفزعت النزلاء من الطبقة الأرستقراطية الذين يتركون المال هنا ... لا يمكن لأحد هنا أن يموت أو ينتحر إلا لسبب بغيض. يموت الإنسان من السعادة وينتحر كيلا يجعل أحداً تعيسًا. ولكن فى النهاية اتفقا على تصديق كل شىء، إنها حكايات ليلة السبت ...، مثل حكايات السيدة سايمور ... ألا تعرف؟

ليوناردو : هل انتحرت هى الأخرى؟

رينالدى : لا، فقد رأيتها وعلى ذراعها جبيرة؛ فقد كانت حادثة سقوط من سيارة ... فالعام الماضى كان بحاجبها كدمة ... بعد سقوطها من فوق الجواد. فهذه الحوادث تتصادف دائمًا مع سفر طويل لزوجها، الذى يستمر شهرين أو ثلاثة أشهر ...، فهذه المدة كافية لكى تلتئم جراحها.

ليوناردو : البدنية والأخلاقية، أليس كذلك؟

رينالدى : سألتزم بالحقيقة الرسمية.

ليوناردو : هذا ديدنك دائمًا؛ فأنا أراك متوردة الوجه وذات مظهر صحى جدًا ... وذات تقشف فى الزينة ...

رينالدى : إنَّه تغير الحياة ... فقد كان ضعف الأعصاب يستحوذ علىَّ، لكن الطبيب وضع لى نظامًا غذائيًا قاسيًا جدًا. فقد قال "يجب التحكم فى هذه الأعصاب، وأن تضعى فى الحسبان أنّ ضعف الأعصاب ليس الموضة حاليًا؛ فقد انتهت مملكة الأعصاب، وبدأ الاهتمام بالقوة العضلية.

ليوناردو : ستكونين "مايكل أنجلو"[1] هذه النهضة.

رينالدى : ولحسن الحظ ؛ لم يكلفنى تغيير حياتى أى مجهودٍ، فقد أرادت السماء أن تضعنى فى طريق الخلاص.

ليوناردو : أبدون أفيال؟

رينالدى : لا تتذكر هذه التصرفات الجنونية. فقد انتهى كلّ شئٍ. تصور أنه فى إحدى نزهاتى الصحية بالضواحى وصلت بالصدفة إلى بوابة دير للرهبان الفرنسيسكان، وخطر على بالى الدخول، وكان

(١) مايكل أنجلو : نحات، ورسام وشاعر إيطالى (١٤٧٥ - ١٥٦٤)

هناك راهب شاحب ذو لحية طويلة يقوم بالوعظ. يا لهـا من خطبـة ! وكـيف كـان يتكلم عن حب المخلوقات وعن الحب الإلهى !

ليـــوناردو : بالنسبة للجزء الأول كان بوسعك الحديث لعظيم خبرتك ومعرفتك بهذه المجال.

ريـنـالـدى : لا تسخر. فأنا إنسانة أخرى منذ ذلك الوقت. وقد عـاودت الاستـمـاع إليـه كلَّ مـسـاء. إنَّه القـديس فرانسيسكو دى عزيز ... ولقد أخذت على عاتقى إعادة بناء الدير؛ وأفكر فى تنظيم سلسلة من الحفلات. يا له من قديس مسكين! فحفلات القديس أنطونيو لم تكن شيئًا يُذكر.

ليـــوناردو : لا تتكلم هكذا ؛ فأنت لا تعرفه. ولكننى أعرفكِ أنتِ.

ريـنـالـدى : فـأنا أقـبل أحكام النَّاس كـأنها خـزى اسـتـحـقـه،

ليـــوناردو : ومازلت أريد أن يحكم علىَّ الجميع بأسوأ من ذلك

ريـنـالـدى : ... لكى انجـز عـملى، سـأنتـقل من باب إلى آخـر لأطلب المعونة؛ فـأنا أعـتـمـد عليك وعلى إيمـبـريا. وسترسل لى أحد أعمالك من أجل الحفل الخيرى الذى أنظمه.

ليـــــــونـاردو : بكل سرور. شيء إيحائى ... تمثال لماجدالينا.[1]
أتريدها قبل التوبة أم بعدها؟

ريـــنـــالـــدى : على ألا تكون ذات ملابس خفيفة.

ليـــــــونـاردو : إذن، تريدها قبل؛ فأنت تعرفين كيف كانت تمشى في الصحراء، كما ستمشين أنتِ بعد قليل، ولكن ليس في الصحراء.

(١) ماجدالينا : القديسة ماريا ماجدالينا .

المشهد الرابع

السابقون ، ودونينا ونونو

دونينا : (تلاحق نونو) لا تجر، لا ، أعطنى هذه الرسالة، أعطنى أو ...

نونو : (بالقرب من الكونتيسة) اصمتي! ألا ترين؟ ... فأنت دائمًا هكذا.

دونينا : فأنت الذى هكذا دائمًا ...

نونو : قلت لكِ: اصمتي.

رينالدى : (لليوناردو) لا تبحث عن تفسير ... فهما اللذان تحميهما إيمبريا ... دافنيس وكليو؟ بابلو وبيرخينيا؟ فهذه الفيلا هى حديقة الحب على ما أرى.

ليوناردو : إنّه حب دنيوى ؛ فهو لا يناسبك.

رينالدى : أخبر إيمبريا عن سبب زيارتى.

ليوناردو : سأبلغها بتوبتك.

رينالدى : أولاً، وبعد ذلك أخبرها أننى أعتمد عليها فى ...

ليوناردو : لا تكترثى.

رينالدى : فهذان المحبان ذوا شأن كبير؛ فهما طفلان ... كم يبلغ هذا الولد من العمر؟

ليوناردو : إنّه فى سن ممتاز أيتها الكونتيسة. (يخرج كل من الكونتيسة وليوناردو.)

المشهد الخامس

دونينا ونونو

دونـــيـــنـــيا : أعطنى هذا الخطاب ، أعطنى إياه ...

نـــونـــو : ها هو: اصرخى، ابكى واحتجى بقدميك كالعادة؛ فليعلم الجميع أننى أتحمل الذنب إذا ساءت حالتك، ألم أقل لكِ أنه من أجل تومى؟ ألا ترينه؟ ما تريدين أن أقول له؟

دونـــيـــنـــا : من أجل تومى .. الظرف فقط ، لكن من الممكن أن يكون بالداخل خطاب آخر؛ فمن المحتمل أن يكون قد تم الاتفاق على هذا ... إذا لم يكن هناك شىء خاص، لكتبته دون أن تختفى ...، ولأخبرتنى بذلك. ألا يمكننى أن أعرف ما تكتبه إلى تومى؟

نـــونـــو : من حقك أن تعرفيه.

دونـــيـــنـــا : إذن سأعرفه ... الرِّسالة ...

نـــونـــو : اتركيها، اتركيها !

دونـــيـــنـــا : آه ، لا أستطيع ! ... يا إلهى، إنى أختنق ! .

نـــــونـــــو : أترين؟

دونـــيـــنـــا : يا إلهى !

المشهد السادس

السابقون وليوناردو

ليـــــوناردو : ما هذا؟ ماذا بك يا دونينا؟

دونــيــنـــا : لا شيء، لا شيء.

نـــونـــو : فهي مجنونة. تصر على قراءة رسالة قد كتبتها إلى صديقٍ. لا يمكن لأحد أن يعيش .. وهم يعتقدون أنهم يدفعون له لكيلا ينقصه أيٌّ شيء ... لو لم يكن ... !

دونــيــنـــا : ماذا يدفعون لك ... إذا لم يكن ماذا! ... ماذا تقصد؟

ليـــــوناردو : نونو ! لماذا تعذب دونينا؟

دونــيــنـــا : إنّه لا يستمتع أبد إلا بهذه الطريقة. عندما ضحيتُ بحياتى وروحى من أجله! ... لأننى أموت من أجله وبسببه ... قتلت، لكى تهلك روحى.

ليـــــوناردو : دونينا! (لنونو) ماذا فعلت أيها البائس؟ أإلى هذا الحد كان يصعب عليك الانتظار؟

نـــونـــو : انتظار! ... فلقد انتظرت بما يكفى ... لا أستطيع

أكثر من ذلك! كفى عبودية! أتريدين قراءة الخطاب؟ أتريدين معرفة ما أكتبه إلى صديق؟ ..

اقرئى! ... اقرئى ! ...

دونينا : (تأخذ الخطاب) آه ! ...

نونو : اقرئى ! ... فالذنب ليس ذنبى ...

ليوناردو : ماذا تقول هذه الرسالة؟

دونينا : (تسقط منهارة) يا إلهى ! ...

ليوناردو : ماذا فعلت؟ ... دونينا، دونينا !

نونو : ليس ذنبى.

المشهد السابع

السابقون وليوناردو

ليـــــوناردو : إيمبريا، دونينا تموت.

إيمبـــــريا : ابنتي ! ... دونينا ! ...

دونـــيـــنــا : اتركيني، اتركيني ! أريد أن أموت بمفردي ! كل شيء كذب!

إيمبـــــريا : ماذا حدث؟ هذه الرسالة ! ... ماذا تقول هذه الرسالة؟

دونـــيـــنــا : اتركيني، اتركيني !

إيمبـــــريا : آه ، يا أيُّها البائس! لقد قتلت ابنتي ، لقد قتلت ابنتي!

نـــونـــو : فأنا لستُ مسئولاً؛ فهي التي أرادت قراءتها! ... لقد صبرت بما يكفي ... أريد حريتي.

إيمبـــــريا : حريتك! هل تنسى أنك تحت سيطرتي؟ ... يا لك من بائس، وضيع! لقد اعتقدت أنه كان يكفي أن أضع ثمنا جيداً لروحك لكي تلبي لدونينا ما تريده ...،

سواء أكان حسنا أم سيئًا ... لكن لم تكن الحياة التى كنت تعيشها هى التى جعلت منك شريرًا. إنه قلبك الفاسد، إنها روحك التى تؤاخى روح الأمير فلورنثيو، روح شريرة مثل روحه، غير قادرين على الحب والرحمة !

دونـيـنـا : دعيه يذهب، دعيه يذهب! لماذا أجبرته على الكذب علىَّ؟ ولماذا كذبت أنتِ أيضًا؟ أنت حر يا نونو؛ فأنا أسامحك ... لست مضطرًا إلى أن تنتظر موتى بجزع لكى تكمل خداعك ... فلا ترفضى له أىَّ شىء. لقد تظاهر بما يكفى... فأنا أعرف الحقيقة؛ فأنا أحتضر! ... فهذه هى الحقيقة الوحيدة التى أدين له بها.

إيمبـريا : فأنا واثقة من أنك قد كتبت هذا الخطاب لكى يصل إلى يديها؛ فأنت تعرف كيف تقتل دون أن تلطخ يديك.

نـونـو : هذا ليس صحيحًا. لقد كانت هى ...

إيمبـريا : اذهب، اخرج من هنا ! لا تعطى فرصة لدونينا لكى تطلب منى أن أسامحك. اخرج من هنا، سريعًا !

نـونـو : أهكذا ؟ ...

ليوناردو : لا تكترث. سيدفع لك الثمن . (يخرج كلٌ من نونو وليوناردو)

دونينا : لماذا كذبتِ؟ إذا كان كل ما بحياتى كذب؛ فكيف يمكننى أن أعيش؟

إيمبريا : دونينا!

دونينا : فحياتى تمثل عائقًا بالنسبة لكِ أنتِ أيضًا. فهم ينتظرونك هناك ... أمير هذه الإمبراطورية اللعينة، الإمبراطورية الجليدية ... فهناك تقف السفينة البيضاء برجالها الشاحبين ... السفينة التى يجب أن تأخذك إلى هذه الإمبراطورية التى تتطلعين إليها.

إيمبريا : لا، لا يا دونينا! فأنا هنا دائمًا، هنا معكِ ! ... سترين رحيل هذه السفينة وكأنَّها شبح أبيض؛ وأنا هنا معك دائمًا؛ فحقيقة الحب الذى بيننا ستكون هى الحقيقة الوحيدة فى حياتنا. معكِ إلى الأبد ، إلى الأبد !

دونينا : تنتظرين موتى ...، كما كان ينتظره هو.

إيمبريا : لا يا دونينا ! فحياتكِ هى حياتى ! ...

دونينا : قبل أن ترحل السفينة مثل الشبح الأبيض، سأرحل أنا إلى الأبد، بدون أن أشعر ...، كشبح مرٌ بحياتك.

إيمبـــــــريـا : لا، يا دونينا، فـأنتِ ابنتى ..، ابنة الحب الوحيد فى حياتى ! ... يمكن لكل شىء أن يمر بحيـاتنا مـثل الأشـبـاح، كل شىء، كل شـىء، لكن يبقى فـقط مـا عاش فى القلب.

المشهد الثامن

السابقون ، ليوناردو والأمير ميجيل

ليوناردو : إيمبريا ... الأمير ...

إيمبريا : آه ! لماذا أتيت؟

الأمير ميجيل : لم تجيبينى بأىّ شىء. فقد انتظرت طوال اليوم.

دونينا : جاء من أجلك.

إيمبريا : لن أذهب.

دونينا : فأنا أعرف الحقيقة. أقسم لك أنى سأقتل نفسى إذا مازلت تكذبين، ستكونين أكثر قسوة لو بقيت معى هنا تنتظرين موتى.

إيمبريا : ماذا تقولين؟

دونينا : قولى إنك لن تنتظرى، ستسافرين اليوم ... أقسم أنى سأقتل نفسى قبل أن أصبح عائقًا فى حياتك هل ستذهبين؟ ...

إيمبريا : سأذهب ... اليوم. الآن، اتركينى ... يا ليوناردو، رافق دونينا.

ليـــــــونـاردو : دونينا !

دونـــيـــنـــا : لا، ليس هناك شيء ... فأنا هادئة، أعلم أنَّه الموت.

يخرج كل من ليوناردو و دونينا .

المشهد التاسع

إيمبريا والأمير ميجيل

الأمير ميجيل : هل ستأتين؟

إيمبريا : سأذهب.

الأمير ميجيل : ما كان لى أن أعود إلى سوابيا بدونك.

إيمبريا : هل كنت ستتنازل عن العرش؟

الأمير ميجيل : بكل تأكيد، إذا كان من الصعب أن أحصل على طمأنينة مريحة لنفسى ...، فما بالك لإمبراطورية بأكملها. ملايين من النَّاس يريدون أن يكونوا سعداء ، وينتظرون أن تتحقق سعادتهم بقوانينا الحكيمة ...

إيمبريا : لا تتكلم هكذا. يا للجبن ! تتنازل عن حق إلهى! فملايين من رعايا إمبراطوريتك لن يحصلوا على سعادتهم بسببك. فنحن لا يمكننا أن نجعل أقرب الناس لقلوبنا سعداء! فالموت والألم لا يُهزمان، لكن الجهد الذى نبذله للتغلب عليهما يجعلنا نشبه الإله!

فأنت لا تعرف شيئًا عن حياتي: فليس للخير ولا للشر معنًى واضح بالنسبة لك ، أمَّا بالنسبة لى فلهم مغزى؛ فقد كافحت فى حياتى مثلما يستطيع أفراد كثيرون ... البؤس، الخزى، الكراهية، القسوة والظلم..، لقد عانيت من كل ذلك، ولذلك يمكننى أن أقول لك "اجعل عملك بالحب والعدل، وستكون إمبراطوريتك مجيدة بين جميع الإمبراطوريات".

المشـهد العـاشـر

السابقون وليوناردو

ليـــــــوناردو : إنَّ دونينا نائمة؛ لقد نامت بفضل المهدئ. إذا كان يجب عليك الرَّحـيل؛ فـالأفـضل أن ترحلى الآن؛ فالوداع سيكون حزينا جداً. فأنا سأظل هنا، إلى جانبها.

إيمبــــــريا : ماذا تقول؟ أرحل؟ لا، لا !

الأمـيـر مـيـجـيل : أحضريها معك.

إيمبــــــريا سيعنى هذا قتلها. لا، لا !

ليــــــوناردو : وإذا كان موتها حتمياً !

إيمبــــــريا : ولكنها مازالت تعيش. لا! هنا، معها ... ألا يمكنك الانتظار؟ آه! لا ...، فإنه شيء فظيع! الانتظار ! ...

ليــــــوناردو : دعها الآن يا صاحب السمو، وأنا أؤكد لسموك أنها ستذهب.

الأمـيـر مـيـجـيل : إيمبريا، إذا لم تأتِ قبل حلول الظلام، سترحل سفينتى بدونى ومعها وثيقة تنازلى على العرش.

وسأعود إلى هنا، بجانبكِ، إلى حياتنا.
وإمبراطورية سوابيا ستضيع من أجلك مثل الحلم.
(يخرج الأمير)

إيمبريا : ليوناردو ! ... ماذا عساني أن أفعل؟ فأنا تمثالك إيمبريا، هدفك الأسمى! أعطني إرادتك! ماذا عساني أن افعل؟

ليوناردو : فحياتك ملكك وإرادتك أيضًا. ألا تعرفين أين توجد حياتك؟

إيمبريا : نعم، وحياتي هي فكرتك ...، إنها حلمي ... سأذهب، سأذهب ... لكن ابنتي ... هل قلت إنَّها نائمة؟ أريد أن أراها.

ليوناردو : ستنقصكِ الشجاعة.

إيمبريا : لا، أريد رؤيتها، أريد رؤيتها !

ليوناردو : إذا رأيتها فلن تذهبي! ... إيمبريا ! لن تذهبي، لن تذهبي ! ... (تدخل إيمبريا. يستمع ليوناردو. وبعد قليل تعود إيمبريا) إيمبريا !

إيمبريا : إنَّها نائمة ! قبلت جبهتها ولم تستيقظ.

ليوناردو : أقبلتِ جبهتها؟

إيمبريا : يجب أن أرحل، أليس كذلك يا ليوناردو؟

إيمبـــــــــريـا : أجل، انتـصـرى يا إيمـبـريا! فـالفكرة هى التى ستنتصـر ! لكن قبل ذلك، أخبرينى؛ فـأنا أريد أن أعرف: عندما قبلت ابنتك ...

إيمبـــــــــريـا : ماذا تريد أن تعرف؟

لـيــــــونـاردو : هل كانت جبهتها باردةً ؟

إيمبـــــــــريـا : أجل. أتريد أن تعرف ذلك. إنَّها ميتة ! ولن يمنعنى موتها! هل يخيفك ذلك؟

لـيــــــونـاردو : إن روحك عظيمة. إنك تخيفينى، وإننى لمعجب بك!

إيمبـــــــــريـا : لكى نحقق شيئًا عظيمًا فى الحياة، فلابد من أن نحطم الواقع؛ ونبعد أشباحه التى تقف فى طريقنا، ونتابع طريق أحلامنا نحو ما هو مثالى؛ حيث تطير الأرواح فى ليلة السبت، منهـا مـا يطير إلى الشَّر؛ حيث تضيع أرواحهم فى الظلمات؛ منها ما يطير نحو الخير لكى تعيش إلى الأبد مثل أرواح من نورٍ وحب، وداعًا يا ليونارود!

لـيــــــونـاردو : وداعًا إيمبريا !

إيمبـــــــــريـا : فهى قبلة الروح التى أعطيتنى إيَّاها، إنَّها عظيمة مثل هدفك الأسمى !

نهايــة

ثانيًا : القوة الغاشمة

مسرحية فى فصل وجزأين[1]

(١) عرضت لأول مرة فى مسرح لارا بمدريد ليلة العاشر من نوفمبر عام ١٩٠٨.

الشخصيات

NELL	نل
SOR SIMPLICIA	الراهبة سيمبليثيا
MADAME HENRI	مدام هنری
MADAME RICHARD	مدام ریتشارد
DIANA	ديانا
PERTA	برتا
FRED	فريد
BOB	بوب
HUGO	هوجو
DICK	دك
CAYTANO	كايتانو
SR RICHARD	السيد ريتشارد

MR HENRY

MONSIEUR HENRY	السيد هنرى
EL GRAN RAJA	الراجا العظيم
DOMADOR DE CABALLOS	سائس خيل
HOMBRE NEGRO	رجل زنجى
ENFEMERO	ممرض
CRIADO DEL CIRCO	خادم بالسيرك
CAMARERO	نادل

مقدمة المراجع

مسرحية : القوة الغاشمة

أحداث المسرحية :

تتناول المسرحية قصَّة بهلوان بالسِّيرك يُدعى فريد . كان شابًا قويًا وذا بنيانٍ جسديّ متينٍ . كان فريد مثار إعجاب جميع فنَّانى السِّيرك ومحط اهتمامهم جميعًا إلى جانب أصحاب السيرك من جرَّاء شقلباته المزدوجة . ذات يوم وهو يؤدِّى تدريباته سقط جريحًا ، وأصبح معوَّقًا بالنِّسبة لمهنته . نُقِل فريد إلى المستشفى لكى يعالج من سقوطه خلال أدائه لعمله . لقى فريد كل رعايةٍ واهتمام من جانب جميع الممرِّضين والأطباء بالمستشفى، وخاصة من الرّاهبة سيمبليثيا. أمَّا رفاقه فى السِّيرك فقد اضطروا إلى هجره ؛ لأنَّهم سيواصلون ترحالهم من مكانٍ إلى آخر لكسب قوت يومهم. لقد بقى من هؤلاء نل التى تُحبُّ فريد حبًا جمًا، وبوب مهرِّج بالسِّيرك كان متيِّمًا بحب نل ، لكنَّه كان وفيًا لصديقه، وعرض على نل البقاء معها إلى جانب فريد على أنْ تتزوَّج الفتاة البهلوان البائس المسكين ، ليس هذا فقط بل جعل بوب من فريد مديرًا للسيِّرك الخاص به ، كما أنَّه سيعمل هو ونل، وسيظلُّ فريد معها حيث يذهبان . وهنا يتجلى وفاء نل وإخلاصها وإنكار الذَّات من جانب بوب . لقد وجدت نل كثيرًا من الإغراءات من قِبل هوجو فضلاً عن تهديداته لها لكى تجدِّد عقدها مع سيرك السَّيد هنرى، لكنَّها رفضت رفضًا، وفضَّلت أنْ تعمل مع بوب، وتبقى مع فريد المنكوب، كما حاول

هوجو أيضًا إبعاد نل عن فريد، لكن محاولاته باءت بالفشل الذّريع. حاولت بيرتا أيضًا إثناء نل عن عزمها وإقناعها بأنَّ خطيبها فريد لم يعد يصلح لشيء، وأنَّها لن تكون سعيدةً إلى جواره، لكن نل الوفية المخلصة ضربت بنصائحها الحقودة عرض الحائط.

لقد أحبَّ فريد راهبة البِّر والإحسان سيمبليثيا خلال علاجه فى المستشفى؛ حيث تجرَّأ على أنْ يسألها عن اسمها الحقيقى. ارتفعت نبرة الحوارات والدردشات بينهما . كانت الرَّاهبة تبثُّ الأمل فى البهلوان المنكوب، وتحضُّه وتشجِّعه لكى يتغلَّب على مصيبته، وتخفِّف عنه إحباطه ويأسه، لكن الرَّاهبة اهتمت أيضًا بأمورٍ دنيويةٍ مثل الحبِّ الذى يربطه وخطيبته نل. كانت الرَّاهبة تتحدَّث مع فريد على انفراد دائمًا ، وهذا يضع سلوكها إلى حدٍ ما موضع الشَّكِّ . لقد أنقذ بينابينتى الرَّاهبة من موقفٍ حرج عند وصول نل وبوب عندما كانت تتحدَّث مع فريد فى غرفته .

جاء بوب ونل لاصطحاب فريد معهما، لكن البهلوان المنكوب رفض؛ لأنَّه اعتبر ذلك من قبيل الشَّفقة والإحسان، نظرًا للإعاقة التى لحقت به . تحدَّثت الرَّاهبة مع فريد لكى تثنيه عن عزمه بمغادرة المستشفى فى الوقت الذى كان بوب ونل يشتريان لوازم السِّيرك : العقلة والبغلة والعربة والسِّلك والطَّبلة والفانونس . استطاعت الرَّاهبة إقناعه بمبرراتها وبراهينها قائلة له : إن كبرياءه وغروره هما اللذان يجعلانه يرفض هذا العرض الممتاز .

استطاعت نل فى النِّهاية اصطحاب فريد بسبب حبِّها له، وقد رافقهما بوب من قبيل إنكار الذَّات لكى يتزوَّج فريد من نل ويعيشا سعيدين .

د. صبرى محمَّدى التُّهامى زيدان

مصر الجديدة فى ٣ مارس ٢٠٠٧

الجزء الأول

فصل وحيد

المشـهد الأول

صالون الاستراحة للفنانين بالسيرك . باب كبير في مؤخرة خشبة المسرح ، يظهر ويؤدى إلى الحلبة . جانبان على اليمين واليسار، وهما اللذان يظهران على أنهما لغرف الفنانين والباعة.

يظهر خادم عند رفع الستار. يخرج بعد ذلك سائس الخيل من مؤخرة خشبة المسرح، ثمَّ يخرج السيد ريتشارد من اليسار الذى يبدو أنه مدخل الشارع. قبل رفع الستار يُسمع فقرة موسيقية كالتى يعزفونها فى السيرك. بعد رفع الستار بقليل يتوقف العزف ، ويخرج سائس الخيل من مؤخرة خشبة المسرح.

سائس الخيل : ماذا تفعل هناك؟ أحضر الحاجز بسرعة !

خادم : حاضر ... حاضر

سائس الخيل : لكن انتظرى يا سيدتى !

خادم : إذن انتظرى يا مدام.

سائس الخيل : تبًا لك !

خادم : أهه ! حذارِ مما تقول ! فأنا أفهم.

سائس الخيل : أتوسل إلى الإدارة. سوف ندعك لإصلاحها .

خادم : فنحن لسنا ملزمين بحضور البروفات.

ديـــــانـــــا: (بالداخل) جون ! جون !

ســائس الخــيل : مدام !

ديـــــانـــــا : (بالداخل) لكنى أنتظر منذ ساعة. الحاجز بسرعة !

ســائس الخــيل : فى الحال يا سيدتى ! لكن انتظرى.

خـــــــادم : لكن أىُّ حاجزٍ تريد؟ فجميعها فى ورشة النجارة لإصلاحها...؛ فالحواجز تتكسر كل ليلة. (يخرج من اليسار، من آخر المسرح، السيد ريتشارد)

ســائس الخــيل : عمت صباحًا يا سيدى !

خـــــــادم : عمت صباحًا.

السيد ريتشارد : هل السيدة هى التى تتدرب؟

ســائس الخــيل : أجل يا سيدى ... ينقصها الحواجز فقط ... فالسيدة تتدرب على الجواد الجديد ...، الواثب العظيم.

السيد ريتشارد : هل لذلك طلبت الموسيقى؟

ســائس الخــيل : أجل يا سيدى ! ... لكن بدون حاجز ...

السيد ريتشارد : لكن، ألم تضع الحاجز؟ لماذا لم تضع السيدة الحاجز؟

خـــــــادم : الحواجز جميعها مكسورة ... وقد نقلت إلى ورشة النجارة.

ســائس الخــيل : إذن لا يمكن للسيدة أن تتدرب؛ فلا فائدة من التدريب بدون حاجز.

السيد ريتشارد : حسنًا ...؛ إذن أخبرها حضرتك بأنها لا يمكنها التدريب...؛ لأنَّه لا توجد حواجز.

سائس الخيل : حسنًا يا سيدى؛ فالسيدة لن تكون سعيدةً. (يخرج من مؤخرة خشبة المسرح)

خادم : الحاجز موجود...، لكن كما أمرتنا سيادتك ألا نلبى أىَّ شىءٍ مما تطلبه هذه السيدة ...

السيد ريتشارد : أجل، أجل ... حسنًا هكذا. لا شىء مما تطلبه ... فأنا أريد أن تغضب كثيراً وترحل سريعًا. إنَّها فقرة غالية، فقرة لا تُعجب أحداً. فأنا أريد أن ترحل من هنا فى أسرع وقتٍ. (يخرج نادل من مؤخرة خشبة المسرح من الجهة اليسرى ومعه صنية، بها كأس وزجاجة كونياك.) ضعها هناك ...، ضع كل شىء ... (يترك النادل كلَّ شىء فوق المنضدة الكائنة فى الجهة اليمنى) من يقوم بالتدريب من الآخرين هذا الصباح؟ (يخرج النادل من حيث دخل)

خادم : عائلة هنرى مع تلميذهم الجديد ...، وقد طلب الهندى أيضًا التدريب ... لهذا جئنا لكى نُخرج القفص ...

السيد ريتشارد : لكن هو الذى يدفع هذه الخدمة؛ فالإدارة ليس لها حساب لذلك ... فهو الذى يطلب الخدم ...، وهو الذى يدفع.

ديـــــانـــــا : (تخرج من مؤخرة خشبة المسرح مرتديه ثياب فارسة وسوطها فى يدها) عمت صباحًا يا سيد ريتشارد.

السيد ريتشارد : عمت صباحًا أنتِ أيضًا؛ لأنك فقط تكلمينني بالإنجليزية؛ لو كنتِ إسبانية ...، مثلى! ...

ديـــــانـــــا : لا أحد يعلم من أين هو ولا اللغة التى يتحدثها .... فحضرتك ترى أنى لم أستطع التدريب اليوم أيضًا بجوادى الواثب. لا تقل سيادتك بعد ذلك: إنَّ الجمهور قد سئم من رؤية الشيء نفسه ... بغض النظر عن ذلك، فهذا الجمهور ليس ذكيًا على الإطلاق. إنَّه لا يميز بين واحدة من هؤلاء العاهرات اللاتى لا يعرفن كيف يمسكن بجواد، ويعملن على أنغام الموسيقى، وبين فارسةٍ حقيقية مثلى، قد تعلَّمت الفروسية فى المدرسة الإمبريالية فى فينا. "Escuela Imperial de Viena"

السيد ريتشارد : أجلْ، أجلْ ؛ أعلم كلَّ ذلك ...؛ فالجمهور فقط لا يعرف، وكل ليلة تخرجين فيها سيادتكِ إلى الحلبة

والجمهور يضرب بكل شىء بوم، بوم، بوم ...
(يوافق الحدث بالكلام، ضاربًا بالخشب على
المنضدة) فهذا شىء مزعج لى وللجمهور.

ديـــانـــا : لم يحدث هذا لى فى أىٍ مكان. فى فيينا، برلين، لندن، سان بطرسبورج ...، فالحلبة كانت تمتلئ بالزهور.

السيد ريتشارد : لذلك لم يعد هناك مزيد من الزهور.

ديـــانـــا : لحسن الحظ لم يبق سوى أيام قليلة وينتهى عقدى.

السيد ريتشارد : لا فائدة من أن تكلمنى سيادتك بخصوص تجديده.

مدام ريتشارد : أوه، لا، لا ! فأنا لن أجدد شيئًا: أنا حزينة جداً، لكن الجمهور ...، فأنت ترين ... مستاء، مستاء، مستاء. (مثلما فعل من قبل)

ديـــانـــا : الجمهور أو أن هناك من يدفع لذلك.

السيد ريتشارد : أوه ! فهذه هراءات ... لا أحد يدفع لذلك ... الجمهور هو الذى يدفع.

ديـــانـــا : بما أنَّ جميع فنانى الفرقة يحسدوننى ...

السيد ريتشارد : ليس هناك حسد فى فرقتى. ففرقتى جادة جداً؛ فهو خيال سيادتكِ ... ففقرات الخيول تُزعج فقط. فأنا كنت أعلم ذلك، لكنى كنت أريد أن أتأكد؛ ولهذا تعاقدت مع حضرتكِ، لكن لا خيول بعد ذلك أبدًا، أبدًا.

ديـــــانـــــا : بما أنَّ هذا ليس سيركًا ....

السيد ريتشارد : حضرتكِ تقولين ...

ديـــــانـــــا : بما أن الذى يحدث هنا ليس فن ...

السيد ريتشارد : حضرتك تقولين ... إنَّه ليس هناك فنًا بسيركى ...، فلدىَّ أوائل فنانى العالم ...، فقرات بثمانية وتسعة آلاف فرنك.

ديـــــانـــــا : فقرات مسرحية، لكن ليست فقرات سيرك؛ فلا يوجد هنا فنانون؛ فالفنانون هنا يزيدون عن الحاجة.

السيد ريتشارد : يجوز، يجوز.

ديـــــانـــــا : سأذهب لأرتدى ملابسى ... وها أنت تعلم، أنَّ الذنب ليس ذنبى، هذه الليلة الفقرة المعتادة.

السيد ريتشارد : أجلْ، أعلم، أعلم، الفقرة المعتادة. بوم، بوم، بوم (مثلما فعل من قبل)

ديـــــانـــــا : افهم سيادتك أن سمعتى فوق كل ذلك. (تنادى) يا جون! يا جون!

سائس الخيل : (يخرج من مؤخرة خشبة المسرح) سيدتى.

ديـــــانـــــا : تعالى لتساعدنى فى ارتداء ملابسى.

سائس الخيل : عندما تريدين يا سيدتى. (تدخل مدام ديانا أول غرفة فى الجهة اليسرى، ويتبعها سائس الخيل)أوه.

المشهد الثانى

السيد ريتشارد والسيد هنرى الذى قد خرج من أقصى جهة اليسار .

السيد هنرى : سيد ريتشارد ! كيف الحال؟

السيد ريتشارد : على ما يرام يا سيد هنرى ، تحت أمر سيادتك.

السيد هنرى : هل مدام ريتشارد على ما يرام هى الأخرى؟

السيد ريتشارد : أجلْ ، فى أحسن حال، تحت أمركم. وماذا عن مدام هنرى؟

السيد هنرى : لن تتأخر فى المجىء مع الفتيات.

السيد ريتشارد : أتريد أن تتناول شيئًا ؟ ...

السيد هنرى : أشكرك، لا ...

السيد ريتشارد : نعم يا رجل، نعم، تناول شيئًا. (يقترب من بابٍ فى أقصى جهة اليسار) يا ! هنا واحد ! (يخرج النادل) أحضر لى قهوة ... ماذا تريد أن تتناول يا رجل؟

السيد هنرى : سأتناول الجعة.

السيد ريتشارد : جعة... مثلجة جدًا ... (يذهب النادل. يجلسان على جانبىْ المنضدة) هل ستأتى لتتدرب الآن؟

السيد هنرى : أجلْ ...، مع الفنان الجديد ... الذى تعاقدنا معه ... وإنه أبلى بلاءً حسنًا ... فأنا سعيد ... فحضرتك لا

تريد أن تصدق ذلك، لكن الفنانين الإسبان هم أوائل فنانى العالم.

السيد ريتشارد : أنا لا أقول شيئًا ... لكنكم تضعون اسمًا إنجليزيًا فى لوحات الإعلانات. (يخرج نادل ومعه صنية، بها كأس وزجاجة جعة، تركها فوق المنضدة، ويشرب منها السيد هنرى. ينصرف النادل من نفس الجانب الذى خرج منه)

السيد هنرى : من أجل الجمهور، من أجل أصحاب الأعمال ... لكن فرقتى دائمًا كانت من فنانين إسبان ... وقد قلتم لو لم تكن الفقرة البهلوانية من الطراز الأول، كما يمكن أن يؤديها شيفس، مونتروسيس وكريموس.

السيد ريتشارد : أجل، أجل. لقد خسرتم كثيرًا بغياب ذلك الفتى. لقد كان واثبًا قويًا للغاية ...؛ وكان الجمهور معجبًا به أشد الإعجاب ... أنا لا أقول أن الباقى سيئ ؛ لكن لن يكون لديك وسيلة للتعاقد مع واثب آخر قوى جدًا . فالمسكين فريد هو الموهوب الذى كان لديك. فالآن لا يمكنكم العمل فى سيرك كبير، حتى يتدرب اللاعب الجديد جيدًا على فقرة فريد، ولهذا لن أجدد عقدكم.

السيد هنرى : أؤكد لك أنَّه فى القريب العاجل لن يُلاحظ غياب فريد؛ فاللاعب الجديد موهوب أيضًا. أعرف كيف أبحث ... ومع دروسى ... فقد صنعت فنانين عظماء ... جميع أبنائى ...، أبناء زوجتى ...، فهؤلاء الذين لدى الآن ليسوا أبنائى ... فأنا أجد دائمًا، ودائمًا فى إسبانيا ... الفنان الفرنسى سيكون أكثر أناقةً ؛ الامريكى، أكثر شجاعة ...، لكن الدم، الحماس ...، الحمية التى يمتلكها الفنان الإسبانى لن نجدها فى أىِّ فنان آخر ... لهذا هم أفضل واثبى العالم.

السيد ريتشارد : وكيف حال المسكين فريد؟ لقد زرته ثلاث مرات بالمستشفى...، يحزننى فقط..؛ فلقد أعطيته بعض النقود. فالجميع يقولون إنَّه سيفقد ساقه. فسيادتكم ترون ...، فنحن جميعًا قد اعتقدنا أن سقوطه لم يكن خطيراً.

السيد هنرى : هكذا كانت ... يا لسوء الحظ! فلقد كسرت ساقى وذراعى ورأسى، ولم يحدث لى شىء أبداً. وهذا الفتى فى أول سقوط له....

السيد ريتشارد : والآن، الرجل المسكين .... لا يمكنه أن يكسب قوته ... أليس لديه معاش من شركة تأمين الفنانين؟

السيد هنرى : لقد كان مجنونًا ... لم يكن يدفع قيمة اشتراكه ... والآن لن يكون له شيء ... سأترك له شيئًا ...، وكذلك رفاقه أيضًا، لكنى لا أستطيع أن أفعل شيئًا أكثر من ذلك.

السيد ريتشارد : بالطبع ! ولا أنا أستطيع؛ فإنَّها مصيبة لا يمكن لأحد أن يتجنبها ،ويمكن أن تحدث لأى شخص. لقد سقطت فقط ذات مرة، عندما كنت فنانًا ... لقد كنت محظوظًا للغاية ؛ حيث سقطت فوق الجمهور ...

المشهد الثالث

السابقون، ديانا والسائس اللذان يخرجان من أول غرفة على اليسار، وهى ترتدى زى الخروج.

ديانا : (تعطى مفتاحًا لسائس الخيل) خذ المفتاح ، سيد هنرى ... (يذهب السائس من أقصى اليسار)

السيد هنرى : آنسة ...

ديانا : وكيف حال المدام؟

السيد هنرى : فهى على ما يرام؛ فأنا أنتظرها هنا . هل تدربتِ؟

ديانا : أوه، لا ... لا يمكن التدريب هنا ! فأنتم تعرفون كيف حال الجميع فى مثل هذا الكوخ.

السيد ريتشارد : أف !

ديـــانـــا : فأنا لا أرى اليوم الذى ينتهى فيه عقدى. هل انتهيتم ليلة أمس؟

السيد هنرى : أجل، سنرحل اليوم.

ديـــانـــا : إلى أين أنتم ذاهبون؟

السيد هنرى : الآن لن يمكننا العمل سوى فى السروك الصغيرة، إلى أن نحسن فقرتنا من جديد.

ديـــانـــا : على فكرة. كيف حال المسكين فريد؟ كنت سأقول لكم أنى ذهبت لزيارته بالمستشفى. ياله من أمرٍ محزن! فبكل جانب مرضى يتألمون، لم تكن لدى شجاعة لكى أعود لزيارته.

السيد هنرى : سنذهب اليوم، لآخر مرة، لنودعه. سنقضى ربع ساعةٍ حزينةٍ.

ديـــانـــا : أجل ...، إنَّه شىء محزن للغاية ... أصبح عاجزًا، بالطبع؟

السيد هنرى : أصبح عاجزًا.

ديـــانـــا : يا للأسف! يا للمسكين فريد من شابٍ ظريف! لو تكرمتم أن سلِّموه هذا المبلغ منِّى ... (تعطيه عملة ورقية)

السيد هنرى : شكرًا جزيلاً، يا آنسة ديانا.

ديـــــانـــــا : إنه كلُّ ما أستطيع أن أفعله. أبلغ سيادتك تحياتى لمدام هنرى، والفتيات وزملائكم...، ولن أقول لكم وداعًا ...، بل إلى اللقاء. فالعالم كبيرٌ للغاية، لكن دائمًا يلتقى الشخص بالناس؛ فهذه المرّة الثالثة التى التقينا بها، ولن تكون الأخيرة.

السـيـد هنرى : بدون شك ... إلى اللقاء، يا آنسة ، وحظًا سعيدًا.

ديـــــانـــــا: إلى اللقاء، ورحلة سعيدة. إلى اللقاء فى المساء، يا سيد ريتشارد.

السيد ريتشارد : إلى اللقاء. (تنصرف من أخر المسرح من الجهة اليسرى.) أوه، يالها من فارسة ! لقد سُرقتُ. ألفا فرنك فى الشهر والفقرة لم تُعجب أحدًا ! فالجوادان كجملين ...؛ والآنسة ...، جمل آخر ... لقد سُرِقتُ.

السـيـد هنرى : ها هنا الراجا العظيم.

السيد ريتشارد : وهذا شىء آخر ... أنّه نوع آخر من الرّعاع !

المشهد الرابع

السابقون، الراجا الهندى والرجل الزنجى اللذان يخرجان من آخر المسرح من الجهة اليسرى :

الـراجــــــا : عمت صباحًا، يا سيدى.

السيد ريتشارد : عمت صباحًا.

الـــــزَّنجـــــى : عمت صباحًا.

الـراجــــــا : اليوم حار جدًا.

الـــــزَّنجـــــى : سأرى الأسود، يا سيدى.

الـراجــــــا : اذهب ...، اذهب .... (يخـــرج الزنجى من مـــؤخـــرة خشبة المسرح)

السيد ريتشارد : ولماذا أنت ذاهب هكذا بالزى المدنى؟ فلدى شـــرط بالعقـد يحـتم على سـيـادتك ألا تتـحـرك أبدًا إلا بالملابس الهندية؛ فـهذا شىء مـهم بالنسـبة للعمل، من أجل الدعاية.

الـراجــــــا : أجلْ، يا سيدى ... فأنا لا أستطيع أن أخرج مرتديًا ملابس شرقية؛ فالجميع ينظرون إلىَّ ويسيرون خلفى.

السيد ريتشارد : فهذا ما أريده.

الـراجــــــا : وأنا لا أريد ذلك.. فأنا أريد أن أسير كما يحلو لى بالشَّارع.

السيد ريتشارد : هل ستتدرب؟ لماذا تريد أنْ تتدرب اليوم؟

الراجـــــا : فالأسُود تحتاج إلى التدريب، لم تكن أُنثى الأسد مسرورة ليلة أمس وعضتنى من حذائى، ولهذا أحتاج إلى التدريب لكى أعاقب أنثى الأسد؛ فأنا لا أستطيع معاقبتها أمام الجمهور...؛ فهذا ليس مستساغًا. سأعاقبها الآن، سأضربها كثيراً بالعصا ... فالسبع كالمرأة تمامًا ... فهم سواء بسواءٍ ...، إذا تجاوزا الحدود مرَّةً واحدةً، فلن يمكن السيطرة عليهما ... لقد كان لدىَّ كثير من السِّباع... وكثير من النساء ... وأعرف جيداً كيف يتم استئناسهما.

الـــزِّنجـــى : (يخرج من مؤخرة خشبة المسرح) فالأسُود سريعةُ الحركة يا سيدى.

الراجـــا : حاضر...، حاضر...؛ يا سيدى...، يا سيدى... (يخرج، ويرافقه الزِّنجى، من مؤخرة خشبة المسرح)

المشهد الخامس

السيد هنرى والسيد ريتشارد

السيد هنرى : تأخرت عائلتى كثيراً.

السيد ريتشارد : ليس هناك استعجال ... فالوحشيُ يتدرب الآن.

السيد هنرى : الراجا الهندى العظيم ! كما يُقال عنه. ومن أين هو فى الواقع، هل تعرف حضرتك؟

السيد ريتشارد : أنا أعتقد أنَّه عربى من الجزائر ... فقد كان خادماً لمروض حيوانات وقد اشترى منه هذه الأسُود. فأنت قد رأيت. فقد سُرقت! ثلاثة آلاف فرنك شهريًا ...، والأسُود ما هم إلا أربع قطط. وهذا الرجل لا يفعل شيئًا سوى تناول المسكرات ...، يخرج إلى الحلبة سكرانًا دائمًا ... فهذا مستحيل. فالفنان لا يمكنه أن يشرب بهذا الشكل. عندما كنت فنانًا لم أشرب أبدًا قبل بدء العمل بخمس عشرة دقيقة.

المشهد الخامس

السابقون ، هوجو ، دك وكايتانو ، الذين يخرجون من آخر المسرح من الجهة اليسرى .

السيد هنرى : ها هم هنا فنانينى.

هوجو : عمت صباحًا يا سيد ريتشارد.

دك : تحياتى يا سيد ريتشارد.

السيد هنرى : لماذا تأخرتم كثيرًا؟

هوجو : لقد كان هذا مختفيًا. كان نائمًا.

كايتانو : لقد كنت مرهقًا.

السيد هنرى : أمن العمل؟

كايتانو : من قلة النَّوم... ولا أدرى منذ متى لم أنم فى الفراش. فى الصيف، كما هو معروف ... كثرة عمل النجوم.

السيد ريتشارد : هل هذا السيد هو الفنان الجديد؟

السيد هنرى : هذا هو ... ما رأيكم فيه؟

السيد ريتشارد : لا يبدو أنَّه قوى جدًا.

السيد هنرى : بل إنَّه قوى، أجلْ. تعالوا هنا، أنت ... ما اسمك يا ملعون؟ فإننى لا أتذكره أبدًا.

كــــايتـــــانو : كـايتـانو، فى خـدمـة سـيـادتكم، ورهن إشـارة حضرتكم أيضًا.

السـيـد هنرى : أوه ! فـهـذا ليس اسـمًا ... كايتـانو ليس ممكنًا ... سنطلق عليك اسمًا آخر.

كــــايتـــــانو : كما تحب يا سيدى.

السـيـد هنرى : اقترب. انظر سيادتك. لديه عضلات قوية.

السيد ريتشارد : أجَلْ، أجَلْ ...

السـيـد هنرى : الآن، سنقـضى وقـتًا طويلاً بدون طعـام ... أليس كذلك؟

كــــايتـــــانو : فـأنتم ترون ... كنت أذهب إلى المزرعـة ... أخـيـرًا، لإحضار الطَّعام.

السيد ريتشارد : وحضرتك، أين تعلَّمت الجمباز؟

كــــايتـــــانو : مع رفاق آخرين ... فى حديقة الرتيرو...، فى قطعة أرضٍ مـسـتـوية... وقـد عـملت فـى القـرى وفى دار سينما، وكانوا يصفقون لى.

السـيـد هنرى : فـهذا ليس شيـئًا. من الآن ستكون فنانًا ...، مـثل هوجو، مثل دك، لكن يجب أنْ تعمل بقوةٍ. وسوف نرى اليوم عما إذا كنا سنجيد كل الحيل.

كــــايتـــــانو : أجَلْ، يا سـيـدى؛ فـقـد أكلت جيدًا اليـوم...، أكلت شريحة لحم ممتازة فقط.

السيد ريتشارد : يجب أن تتعلم كيف تؤدى التحية بظرف، وأنت واقف جيداً فى الحلبة أو على الحاجز، ذو مظهر أنيق دائمًا.

هوجـــــــو : ها هو يتعلم بالتدريج. لنر ذلك، أدِّ التحية (كايتانو يؤدى تحية مبالغًا فيها)

السيد ريتشارد : أوه، فإنه ليس هذا بعد ! أكثر أناقة، أكثر فنية ... فأنت تحتاج إلى أن تغير طريقة ملبسك ... فالآن تبدو كأنك غريق.

السيـــد هنرى : ها نحن سنلبسه ... عندما يستطيع أن يدفع من عمله؛ فالآن ينبغى عليه أن يفصِّل ملابس الفنان. وها أنا قد أعطيته سلفةً كبيرةً ...، لكنه فضَّل شراء المجوهرات. انظر سيادتك: قلادة كبيرة، وخاتم.

كـــايتـــانو : نعم، فالقلادة جميلة، فقد كلفتنى خمس عشرة بيزتة، وعندما أشترى ساعة ستتناسب معها ... أما الخاتم فليس جيداً، لكنه يبدو كذلك، وخصوصًا، بالليل، فإنه يضىء.

السيـــد هنرى : حسنًا؛ لنذهب للتدريب، فنحن فى حاجة إلى الوقت. لابد أن نذهب فيما بعد للمستشفى لنودع فريد، وفى تمام السابعة سنرحل، وأمى والفتيات؟

دك : ظللن بالمنزل لحزم الأمتعة، وسيأتين في الحال.

السيد هنرى : (عندما رأى دخول مدام ريتشارد) آه، مدام ريتشارد ! مدام ! (يحيها ويذهب خلف هوجو، ودك وكايتانو الذين خرجوا من مؤخرة خشبة المسرح)

المشهد السابع

السيد ريتشارد ومدام ريتشارد اللذان يخرجان من الجهة اليسرى.

مدام ريتشارد : (تحيى هنرى) !... (متجهة نحو ريتشارد) ريتشارد !

السيد ريتشارد : ماذا؟

مدام ريتشارد : أنت تشرب دائمًا. هذا يزعجنى كثيراً؛ فلدى حساب شباك التذاكر؛ فالتذاكر تتدنى من سيئ إلى أسوأ. الليلة البارحة ستمائة وسبع وستون بيزتة وخمسة وخمسون سنتيًا. فالعمل ليس ممكنًا ! فالفنانون أجورهم باهظة، الجمهور لا يدفع إلا القليل...، وأنت تشرب دائمًا. ينبغى على أن أقوم بأعمال الإدارة، وشباك حجز التَّذاكر، وجميع الأدوار. كل الناس يسرقوننى...، كل الناس يخدعونك... فأنت رجل بلا مهابة.... ريتشارد ! ....

السيد ريتشارد : آه ...، السيدة ! كُفى عن ذلك، كُفى عن ذلك ... فأنا أعرف حقيقة العمل، يوم سيئ، ويوم جيد.

مدام ريتشارد : أنت فنان، لكنك لست تاجر ... فزوجى الأول كان يفهم العمل التجارى ... لم يتمكن أحد أبداً من خداعه ...

السيد ريتشارد : يالها من هراءات !

المشهد الثامن

السابقون، مدام هنرى، ونل ، وبرتا ، الذين يخرجون من آخر المسرح من الجهة اليسرى.

مدام هنرى : مدام ! السيد ريتشارد ! وماذا عن هنرى، ألم يأتِ؟

السيد ريتشارد : أجَلْ، مدام. فإنَّه فى الحلبة. وصديقاتى الجميلات... لن أسعد برؤيتهن بعد الآن.

مدام ريتشارد : بالتأكيد. سترحلون اليوم ... مع أطيب تمنياتى، يا مدام هنرى.

مدام هنرى : فإنى سأذهبُ وأنا حزينة، يا مدام ريتشارد؛ فالعقود لا تساوى شيئًا. بالإضافة إلى حادثة فريد ...

مدام ريتشارد : أجل ... ، إنَّها محنة.

مدام هنرى : ونفقات، يا مدام ريتشارد...؛ نفقات. بعد إذن سيادتك، سأذهب لأرى تدريب التلميذ الجديد ...

فهنرى سعيد ... فهو يبدو بالنسبة لى فنان متواضعُ ... فريد كان ذا شأن عظيم ! لا تتأخرن فى ارتداء ملابسكن؛ فعليكن أن تتدربن أيضًا.

السيد ريتشارد : سأذهب مع سيادتكِ لأرى الفنان الجديد.

مدام ريتشارد : سأشرف أنا على كل شىء بنفسى . فالواحدة يجب عليها أن تعتنى بكل شىءٍ، كل الناس يسرقوننى. زوجى منعدم الشخصية تمامًا... (مدام هنرى والسيد ريتشارد يخرجان من مؤخرة الخشبة. ومدام ريتشارد من الجهة اليسرى)

المشهد التاسع

برتا ونل

برتا : هل سنذهب لارتداء ملابسنا؟

نل : لا، فأنا لن أتدرب !

برتا : هل ستظلين حزينةً دائمًا؟ هل ستتذكرين فريد دائمًا؟

نل : بما أنَّه لا يتذكره أحد ! إنه شىء شنيعُ، شىء شنيع ... نتركه هكذا وحيداً عندما لا يستطيع أن يكسب قوته !

برتا : وما بوسعنا أن نفعل؟ فليس لأحد ذنب ... إنها محنة يمكن أن تحدث لنا جميعًا ... السيد هنرى يدفع لنا خدماتنا.

نل : يدفع لنا؟ ... إنَّهُ يستغلنا ... والمسكين فريد ! لا؛ ليس لدى شجاعة لأودعه ؛ فلن أذهب معكم.

برتا : العقد الذى وقّعه والدك مع السيد هنرى قد انتهى. أنتِ حرة فى تجديده.

نل : فأنا أعرف ... وهو اليوم كان يريد تجديده رغمًا عني. هوجو المتوحش كان يهددنى. بما أن فريد ليس موجوداً ليدافع عني !...

برتا : ولماذا لا تحبين هوجو؟

نل : لأنه يصيبنى بالاشمئزاز! فإنَّه همجى، فظ !... فبالنسبة له لا يوجد شيء سوى القوة الغاشمة!

برتا : ألم يكن فريد كذلك؟ لقد تشاجر مع هوجو ضربًا من أجل مودتك. لقد كان لديه القدرة على ذلك حينذاك... الآن من العدل أن يثأر هوجو ...، وسيثأر.

نل : بما أنى لن أذهب معكم...

برتا : ماذا تقولين؟

نـــــــــــل : لا ، لا، سـأظلَّ هنا. حـتى لو مت جوعًـا؛ فـأنا لن أترك فريد .

بـــــرتـــــا : ومـاذا سيكون مـصـيـرك مع رجل لا يستطيع أن يكسب راتبه؟

نـــــــــــل : أنا أستطيع أن أكسبه ... سأعمل من أجلنا سويًا.

بـــــرتـــــا : أنت بمفـردك؟ لا تفكرى فى تصـرفـاتٍ جنونيـةٍ. انسى فريد. سيستغلك. أمَّا هوجو سيصبح مدير الفرقة قريبًا ... لديه مـال مدَّخـر... وبمجـرد أن ينتهى عقده مع السيد هنرى، سنذهب جميعًا معه، سنحصل على مرتب أكبـر... وأنتِ ستصبحين زوجته... ستصبحين صاحبة سيرك ...، مثل عائلة ريتشارد... سيكون لديكما أموال فى بنك لندن...، منزلكما الريفى قرب باريس ... ياله من حلم لكل فنان !

نـــــــــــل : وإذا كان ذلك يجب أن يكون مع هوجو !

بـــــرتـــــا : ومـاذا سيكون مصيرك مع فريد ، إذن؟ مستقبل جميل! مثل الغجر، تنتقلان من مهرجان شعبى إلى آخـر ...، لأنك لن يمكنك ان تتطلعى إلى شىء آخر.

نـــــــــــل : فـأنا ليست لدى طمـوحـات... هكذا كنت أسـير مع والدى ، من مـهـرجـان شـعـبى إلى آخـر، بين الطرق ...، فى عربة...، وكانت حياتى فرحة سعيدة ...

بـــــرتـــــا : بالتوفيق ! ألن تتدربى؟

نـــــــــــل : لا.

بـــــرتـــــا : سـأذهب لأرتدى مـلابسـى... (تنظر إلى بوب، الذى يخرج من الجـهة اليسرى) سيرافقك... فهذا أيضاً متيم بكِ ... ياله من مستقبل آخر!

نـــــــــــل : من يدرى ! (تخـرج برتا من مـؤخـرة خـشـبـة المسرح)

المشـهـد العـاشـر

نل وبوب ، مع كلبه ، الذى يخرج من جهة اليسار، آخر المسرح .

نـــــــــــل : أهلاً، بوب!

بـــــــــوب : أوه يا آنسة نل ! لم أكن أتوقع رؤية سيادتكِ أكثر من ذلك .

نـــــــــــل : وكنت تفكر فى ألا تودعنى؟

بـــــــــوب : لماذا؟ لكى أصبح أكثر حزناً... يسعدنى أن أقدم لك تلميذى الجديد.

نـــــــــــل : (تنظر إلى الكلب الصغير) إنَّهُ فظيع!

بـــــــــــوب : إنه ذكى جداً ... ليس لدى أصدقاء آخرون. أسير في العالم بمفردى. إنه لأمر محزن أن يعمل الإنسان بهذا الشكل...

نـــــــــــل : لقد كان لديك رفيق من قبل.

بـــــــــــوب : أنه أخى ...، أخ حقيقى ... كنا سوياً نعمل دائماً ...، لكن كانت هناك امرأةٌ بيننا ...، امرأة كانت تقول إنها تحبنى أنا و كانت تحبه هو. لمَ لمْ تقل إنّها تحبه، حتى لو لم تخبرنى أبداً ؟...

نـــــــــــل : لأنها كانت ستحبه بعد ذلك... هل تركوك وحيداً ، يا بوب المسكين؟

بـــــــــــوب : لقد رحلا معًا وأخذا مجوهراتى ونقودى... كان بإمكانى أن أسجنهما، لكنه كان أخى...، وكنت أكثر حزنًا من كونى غاضبًا...منذ ذلك الحين وأنا وحيد .

نـــــــــــل : ولم تعد تحب أيَّة امرأة أخرى؟

بـــــــــــوب : كنت أريد ألاَّ أحب بعد ذلك، لكن سيادتك تعرفين.. إننى متيم ...، سيادتك تسخرين منِّى ...

نـــــــــــل : لا ...؛ إنَّ ما أفعله هو أننى لا أصدق هذا الحب.

بـــــــــــوب : أجَلْ، هذا صـحـيح ... القـول: أحب كـثـيـرًا، أحبُّ كثيـرًا ...، ليس كافيًا لتـصديقه، لكننى لا يمكننى سـوى أن أقـول ذلك... لـو كـان بوسـعـى أن أفـعل شيئًا أكثر من ذلك ! ...

نـــــــــــــل : أهناك دليل قوى على الحب؟ هل ستكون قادرًا على إعطائى دليلاً قويًا على الحب؟

بـــــــــــوب : سأكون قادرًا على أكبر دليل على الحب...

نـــــــــــــل : ها، ها !

بـــــــــــوب : أتسخرين منِّى؟

نـــــــــــــل : أسـخـر ... لأننى يبـدو لى أننى سـمـعـتك ، عندمـا سألوك فى الحلبة: "هل سيادتك واثب قوى جداً؟" وأنت قد أجبت: " أجل ، يا سيدى، فأنا أقوى واثب بالعالم..."، لكن الآن المسألة ليست مسألة قوة، يا بوب. بمعنى أنَّهـا ...، قـوة مـخـتـلـفـة... لقـد أجـبتَ سريعًا جدًا ؛ فأنا أعلم أنَّك غير قادر على حبى...، كما أريد.

بـــــــــــوب : كل مـا تريدينه حضـرتكِ، كل مـا تطلبينه منِّى ... فلن تشكى أبدًا . لا يوجـد شـيء فى *العـالم* يمكننى أن أحبه كما أحبكِ.

نـــــــــل : وهل ستصبح سعيدًا جدًا إذا لم تنفصل عنّى أبدًا؟

بـــــــــوب : ماذا تقولين؟ هـذا ليس صحيحًا... فإنك تقولين ذلك لكى تسخرى، لكى تتركينى أكثر حزنًا.

نـــــــــل : لا، ستكون أنت الذى لا يريد... قد انتهى عقدى مع عائلة هنرى، لن أذهب معهم مرّة أخرى.

بـــــــــوب : ماذا تقولين ؟

نـــــــــل : إذا كنت تريد المجىء معى..

بـــــــــوب : لكن هل تقولين الحقيقة؟

نـــــــــل : أنت بعملك...، وأنا بعملى على الأسلاك والعقلة ... وأشياء أخرى سأتعلمها...، وبدون أن نحتاج إلى أن نتعاقد ....، سنذهب من مكان إلى آخر...، فى عربة بجواد أو بغلة، بهذه الطرق...، وسنعمل أينما يبدو لنا ....، إننا أحرار مثل الهواء ....، دون أن يأمرنا أحد ... وهذا سيكفى لكى نعيش...

بـــــــــوب : أجَلْ ....، نحن الاثنين معًا ، نحن الاثنين وحدنا...

نـــــــــل : وحدنا ، لا يا بوب!

بـــــــــوب : وحدنا، الآن ...؛ لاحقًا... أنا أعرف أنه لا ... سيأتى فنانون صغار، فرقة بأكملها ....، سأدربهم أنا...

نـــــــــــل : أترى كيف أننا لا نحب الشىء نفسه ؟ أترى كيف أنك غير قادر على كل شىء؟

بـــــــــوب : إذن...

نـــــــــــل : لا، لا ... ها أنا أعرف أنَّه مستحيل، أعرف أنه حلمى أنا ، أعرف أنه شىء مبالغ فيه طلب ذلك مقابل حب رجلٍ.

بـــــــــوب : لا، أخبرينى بكل شىء . لقد قلتِ: إننا لن نذهب وحدنا . من سيأتى؟

نـــــــــــل : فريد !

بـــــــــوب : مازلت تحبينه !

نـــــــــــل : وإذا لم أكن قد أحببته حتى الآن؛ فالآن أحبه أكثر من أيِّ وقت مضى... فأنت الذى كان عليك ألاَّ تحبنى، أترى كيف أنتم أيّها الرجال؟ فأنت تفضلنى لكونى سيئة القلب، بشرط ألا يكون هذا القلب لسواك...

بـــــــــوب : لكن إذن سيكون هو...، وأنت ستكونين له... وبوب دائمًا وحيدًا!

نـــــــــــل : لا ...، لا، بكل حبِّى ...، حب أخت، حب ابنة ...، الحبُّ الأكبر...، لأننى سأدين لك بشىء أكبر من

الحياة ... وسيكون فريد أخًا لك ...، غير قادر على خيانتك ، مثل الآخر...

بــــــوب : ليس هذا ضــروري ؛ فـقـد بدأتِ الحـديث بأنَّه هو الذي تحبينه.

نــــــــل : تلك الحقيقة... ستقضي على حبك... فأنا أعرف ذلك ! وداعًا، يا بوب ! لن نلتقى بعد الآن.

بــــــوب : لا ، نل!

نــــــــل : أترى كيف أنك لست قويًا كما كنت تعتقد؟

بــــــوب : أجَلْ، نل، فأنا قوى ... سنذهب سويًا ... وسيأتى فريد معنا، ولنعمل من أجله... سأكون سعيدًا لرؤيتكما سعيدين ... لكن ... لكن ... يا لفريد من مسكين إذا لم يحبك كما تحبينه! آه ! عندئذ ستكون القوة الغاشمة ... هل أنت سعيدة؟ ألديكِ الآن دليل كافٍ على حبِّى ؟

نــــــــل : أوه، بوب ! كيف لا نحبك جميعًا! سنذهب اليوم لرؤية فريد. وسنخبره بفكرتنا. سيكون حزينًا جدًا ! فاليوم سيتركه الجميع ...، رفاقه، أصدقاء الأيام السعيدة ... المسكين فريد، المسكين العاجز، الذى كان عليه أن يطلب الصدقة! لم أكن أعتقد أنك طيب جدًا، وأنك تحبنى إلى هذا الحد !

بـــــــــــوب : وأنا أيضًا لم أكن أعتقد ذلك . ليس هناك أحد سيئ جدًا أو طيبٌ جدًا كما يعتقد... ها أنتِ ترين، كان يجب على أن أبتهج لرؤيتك مسرورة... ، وأبكى ... كان يجب أن أحزن لمعرفتى كم تحبينه...،وأنا سعيد ... فترويض القلب يتطلب مشقة كبيرة... لكنه سيكون الحيوان الوحيد الذى لم أروضه.

المشهد الحادى عشر

السابقون وهوجو، الذى يخرج من مؤخرة خشبة المسرح.

نـــــــــــل : أوه !

هـوجــــــــو : ماذا تقول برتا؟ ألا تريدين التدريب؟ ألن تجددى عقدك؟

نـــــــــــل : لا....، إن هنرى يعرف ذلك....، وها أنت تعرف ذلك.

هـوجــــــــو : نل! ستوقعين العقد.

نـــــــــــل : لن أوقع ، لن ... أنا حرة ...! لقد مات والدى ...، أنا حرةُ الإرادة.

هـوجــــــــو : (يمسكها من يديها.) أقول لكِ: إنك ستوقعين.

بـــــــوب : (يتدخل بينهما.) أتركها، أتركها...

هـوجـــــــو : وما شأنك أنت؟

بـــــــوب : (يدافع عن نل) فهى تهمنى؛ لأنَّ نل ستأتى معى. وقد وقَّعنا عقدنا.

هـوجـــــــو : معك أنت؟ ... آه! هل هى دعابة؟ تعال، ستوقعين الآن. (يعود مرَّة أخرى ويمسك بيديها)

نـــــــل : (تطلب المساعدة من بوب.) بوب ! فإنك تؤلمنى ! اتركنى!

بـــــــوب : (يتدخل بين الاثنين) اتركها، أقول لك...

هـوجـــــــو : آه، إنه أمرٌ جاد ! سنرى إذن...، أُفضل أن أتفاهم مع رجل. (بوب وهوجو يستعدان لكى يضرب كلُ منهما الآخر)

نـــــــل : لا ... بوب ... هوجو... النَّجدة!

بـــــــوب : فأنت أكثر قوةً...، لكنى سأقتلك.

نـــــــل : لا، يا بوب...، هذا ، لا ... النجدة! (هوجو وبوب يتشابكان، ويخرج الجميع على صراخ نل، بعضهم، من مؤخرة خشبة المسرح، و آخرون من الجهة اليسرى من آخر المسرح)

المشهد الثانى عشر

السابقون، ويخرج الجميع جريًا، ويفرقون بين هوجو وبوب.

الجميع : ماذا يحدث؟

السيد ريتشارد : أهناك فضيحة فى سيركى؟

السيد هنرى : افصلوا بينهما! ... سيقتلان بعضهما!

مدام ريتشارد : هذا لأنك عديم الشخصية !

مدام هنرى : (تفرق بين هوجو وبوب) ماهذا، يا هوجو؟

دك : هل جُرحت؟

برتا : ما هذا ، يا نل؟

الراجا : يا سيد ...، يا سيد ! ...

بوب : تعالى معى، يا نل ، تعالى معى،... من أجلك ... فأنا أقوى من الجميع .(يأخذ نل معانقًا إيَّاها. ستار بسرعة، وخلال تغيير مشهد الفصل سيُسمع فقرة أخرى من موسيقى السيرك)

تغيير المشهد بالمسرح

الجزء الثانى

المشهد الأول

صالون بمستشفى . نوافذ كبيرة بها ستائر زرقاء، تظهر فى واحدة من هذه النوافذ أعالى أشجار حديقة، وفى النوافذ العليا، تظهر السَّماء الزرقاء لأمسية صيفية.

الأخت سيمبليثيا، تجلس على كرسى منخفض، تحيك وبجانبها سلة كبيرة للثياب. فريد، يعرج ويتكئ على عكاز، ويجلس على مقعد من القش.

فـــــريـد : عمت مساءً يا أختاه.

سـيمبليـثيـا : أوه يا سيد فريد! كيف الحال؟

فـــــريـد : ها أنتِ ترين، يا أختاه ... بخير،... يقولون إننى على ما يرام ... سأخلى طرفى... لن أتأخر فى الذِّهاب ... لكن عندما لا يعرف الشخص إلى أين يذهب!...

سـيمبليـثيـا : ليس هناك داعٍ للاستعجال؛ فقد تم سداد أسبوع آخر لحضرتك... حتى لو لم يحدث ذلك، فلا أعتقد أنهم مضطرون لوداعك. المدير رجل طيب جداً ...، وجميع الموظفين ...، لن يكون لسيادتكم شكوى من أحد...، اللهم إلاَّ إذا كانت منى...، لكن حضرتك ستسامحنى.

فريد : لقد كان الجميع طيبين معى للغاية. الأطباء والأخوات؛ فأنا شاكر لهم جميعًا، ولحضرتكِ أيضًا، يا أختاه... لم تريدى حضرتك أن تخبرينى باسمكِ أبدًا.

سيمبليثيا : ذلك لأنك لا تريد أن تنادينى مثلما ينادينى الآخرون. إنَّه لا يضايقنى ... نادينى حضرتك... يا أخت سيمبليثيا.

فريد : فأنا أعلم أنها دعابة، ولن أجرؤ أبدًا...

سيمبليثيا : فالدكتور نونيث...، إنّه قديس ذو طبع حاد للغاية...، لقد كان هناك قديسون كثيرون حادو الطَّبع...، لقد فقد صبره في يوم ما بسبب بُطئى...، لقد كان على حق...، فأنا أشرد كثيرًا...، وكان هو الذى ينادينى هكذا... "لكن هذه الأخت سيمبليثيا!..." وقد بدأ الجميع فى الضحك؛ فدائمًا يثير الضحك وجود شخص يجرؤ على قول ما يفكر فيه الجميع بدون أن يجرؤ على الإفصاح عنه. قد شعرت أننَّى معذبة...، ولنفس السبب، لم أرد أن ينادونى بطريقة أخرى ... الآن لا يعذبنى؛ على العكس، فهو يفرحنى... الأخت سيمبليثيا... إذا

كان من أجل الشهرة، ينبغى الوقوع فى خطيئة المكابرة... ، فأنا أفضل أن أكون بسيطة؛ فكون الإنسان ساذجًا يُسىء إلى الرَّب...

فـــــــــريد : إذا كنتِ حضرتك تسيئين إليه يا أختاه؛ فماذا سيفعل الآخرون فى هذا العالم؟

سـيـمـبليـثـيـا : ألن تذهب حضرتك الآن مع عائلتك؟

فـــــــــريد : فهم ليسوا عائلتى. لقد كنتُ متعاقدًا معهم... وسوف يذهبون ...، سيتابعون عملهم...، وسيتعاقدون مع شخصٍ آخر فى مكانى ... انتهى عقدهم هنا بالأمس... أتوقع أنهم سيأتون ليودعونى .. وآمل ألاَّ يأتوا.

سـيـمـبليـثـيـا : وسيادتك، أليس لديك عائلة؟

فـــــــــريد : لا، أعنى، نعم ...، لدى واحدة ...، لكن هناك شىء أسوأ من ألا يكون للإنسان أسرة.

سـيـمـبليـثـيـا : هذا صحيح...

فـــــــــريد : فأنا لم أفكر، لا أريد أن أفكر فيما سيكون عليه حالى... شخص عاجز.

سـيـمـبليـثـيـا : هذا، لا ... لا ينبغى أن تيأس... فحضرتك ستصلح لأعمال أخرى.

فـــــــــريـد : فأنا لا أصلح لأى شىء ... لا أعرف شيئًا إلا فنى ... فى هذا، نعم...، فقد كنت شيئًا فى هذا... يالها من شقلبة مزدوجة! ...

سـيـمـبليـثـيـا : أَجَلْ، أَجَلْ...؛ وتعرض حياتك للخطر فى كل لحظة! وها أنت ترى أنه قد كان إمكانك أن تفقدها. فأنا أعرف أن سيادتكم تعملون لأنها مهنتكم، التى تعلمتوها... لكنى لا أفهم وجود أناس يتسلون على حساب من يخاطر بحياته من أجل كسب قوته... وحضرتك، أليس لديك أى معاش، أى تأمين من أجل هذه الحوادث؟...

فـــــــــريـد : أجَلْ...، فلدينا جمعية الإغاثة...، لكنى لم أكن أفكر فى أن...، لم أهتم بذلك... فقد كنتُ شابًا، قويًا...، لم أفكر أبدًا فى أن أدخر...، كل ما كنت أكسب كان لرفاقى، كنت أنفقه معهم جميعًا بفرحة...، والآن سأعيش على الصدقة، إن أردت الحياة.

سـيـمـبليـثـيـا : ماذا تقول؟ أإذا أردت الحياة؟ إذن، أتفكر حضرتك بشىء آخر؟... فيمكنك أن تكسب قوتك...، فأنت تعرف لغات كثيرة...

فـــــــــريـد : فجميعها سيئة... أعرف الكتابة بالكاد...، لا أعرف شيئًا فى الحساب...،لا أعرف شيئًا، وبعد ذلك،

شخص... هكذا...، دائمًا كريه... يبدو أن الشّخص عليه غضب الله...

سيمبليثيا : لا تتكلم هكذا، يا أخي! فبآلام الجسد أو الرُّوح، عندما يبتلينا الله ... لعله بذلك يحبنا...

المشهد الثاني

السابقون، والمرض الذى يخرج من الجهة اليمني من آخر المسرح .

الممرض : سيد فريد.

فريد : ماذا هناك؟

الممرض : إنَّ عائلتك جاءت لزيارتك... وقد قلت لهم إنك بخير...، وأنهم أخلوا طرفك...

فريد : هل يمكنهم الدخول؟

الممرض : أَجَلْ...، فحضرتك تعلم أنهم يمكنهم الزيارة فى أية ساعة... فأنا لم أكن أعلم أين توجد سيادتك. سأذهب لإبلاغهم.(يخرج من الجهة اليمنى فى آخر المسرح)

فريد : لا تقومى، يا أختاه... فإنهم لن يخبرونى بأى سر...، ولن يقولوا شيئًا لا يمكنكِ سماعه أيضًا.

سيمبليثيا : فأنا أعرف ذلك ....، لا، فإننى أخاف ...

فـــــريـد : إنَّه الوداع.

سـيـمـبليـثـيـا : شيء حـزين إلى حـد مـا. أنا أفـهم ذلك... لكن ستكون لديك الشجاعة ... فإنك رجل قوى...

فـــــريـد : أين هى قواى؟ فأنا لم أبك أبدًا...، والآن...

سـيـمـبليـثـيـا : الآن هو الوقت الذى ينبغى أن تكون فيه قويًا...
(يخرج من الجهة اليسرى من أخر المسرح)

المشهد الثالث

فريد ، مدام هنرى ، السيد هنرى ، برتا ، هوجو ، دك ، كايتانو، الجميع يخرجون من الجهة اليمنى فى آخر المسرح .

السـيـد هنرى : فريد ! عانقنى !

مـــدام هـنرى : لقد قالوا لنا إنّك بخير تمامًا.

هـوجـــو : أهلاً ، يا فريد !

بـــرتـــا : هل أنت سعيد الآن أكثر؟

دك : ألا تشعر بأىِّ شىء ؟

فـــــريـد : أَجَلْ...، أَجَلْ... فـأنا على مـا يرام، ها أنتم ترون ذلك... ساقى هى الوحيدة ...، هذا كل شىء ...

السـيـد هنرى : لكن السير...، هل يمكنك الآن؟

فـريـد : أَجَلْ.

السيـد هنرى : سنرى... انهض...

فـريـد : لا...، اتركـونى... لا أريد أن أمـشى. لا أريد أن ترونى، لا أريد أن أرى نفسى... فإنه شىء مُحزن، مُحزن للغاية ...

مـدام هـنرى : هيا، يا فريد... مع الوقت ستتعافى تمامًا.

فـريـد : لا ...، لا... أنا أعرف أنه لا. فإنَّهم لم يخدعونى. وماذا عن نل ؟ ألم تأت نل؟

السيـد هنرى : نل! إنّها فتاة ... ألا تعرف؟ ... الآنسة ...

فـريـد : ماذا؟

السيـد هنرى : لم ترد تجديد عقدها ... فلقد وقعت مع بوب...، المهرج...، هذا الأبله...، سترحل معه.

فـريـد : لا.

مـدام هـنرى : أَجَلْ. إنهما يحبان بعضهما! إنه ثنائى جميل. بعملهما معًا، مستقبل عظيم. سيموتان جوعًا! سيكونا مهرجين فى مهرجان شعبى!

هـوجـو : دونك هذا ... كان يمكننا أن نقتل بعضنا بعضًا بسبب هذه المرأة؛ فنحن زميلان وصديقان!...

السيـد هنرى : هذه حقيقة... ماذا كنت أقول لكم أنا؟ لا توجد امرأة تستحق الشجار مع صديق... فجميعهن سواء ...

مـــــدام هـنرى : جـمـيـعـهـن، لا ... فـنل هـذه، قـد كنت أقـول دائمًا إنهـا كـانت القـديسـة نيـنوتـشى أى شـريرة...، ولم أُخـــدع فى ذلك ... بـالطبـع؛ لأنك عـــديم الشخصية.

السـيـد هنرى : ها أنت قد تعلمتِ من مدام ريتشارد... لكننى ليس السيد ريتشارد، ولن أسمح لكِ بهذا مثلما يفعل هو مع زوجته.

مـــــدام هـنرى : كـان يجب عليك أن تجـبـرها على ترك مـلابسـهـا، ومتـاعـها، كل شـىء ... كل شىء ... لقـد أهديتـهـا قـبـعـة منذ أقل من شـهـر، كـانت قـبـعـتـى...، قـد اشتريتها من مارسيليا.

هــوجــــــو : وأنا ، خاتم.

دك : وأنا، منديل من حرير للسلك...

مـــــدام هـنرى : وهكذا تشكر هدايانا... وقد جعلت منها فنانة، لكن الآن...

فـــــــريـد : أنهيتم عقدكم مع السيد ريتشارد ليلة أمس...

السـيـد هنرى : أجَـلْ، ليلة أمس، وسنرحل اليـوم...، ولا أقـول لك إلى أين؛ فـإنَّه سـيـرك صـغـيـر...؛ فـالآن ليس فى الإمكان شـىء آخـــر. سنكتب لك، وسنرسـل لك برامجنا .

فـــــــــريـد : رسائلكم لى، نعم...، لكن لا ترسلوا لى برامجكم ... ، لا أريد أن أعـرف شـيـئًـا عن فنى... سـيـحـزننى كثيرًا! وخاصة حالتى اليوم...

السـيـد هنرى : أَجَلْ، اليـوم ... ونأسف، لكن لا نسـتطيع أنْ نتـوقف كثيرًا.

فـــــــــريـد : ألديك الآن بديل لى؟

السـيـد هنرى : أَجَلْ ... هـذا الشـاب ... تعـال هنـا، أنت ...؛ لم أفـكر إلى الآن كيف يجب علىَّ أن أناديك ... إنَّه من هنا ...، إنه هاوٍ ... ليس سيئًا ...، إذا اجتـهد ... ها هنا لديك فريد. أتمنى أن تكون كما كان !

كـــــايتـــــانو : أعتقدُ أنَّنى يمكننى ذلك.

فـــــــــريـد : هل تتـحكم فى الشـقلبـة المزدوجـة والسـقـوط على الأكتاف، وبعد ذلك القفزة الجانبية؟

كـــــايتـــــانو : أَجَلْ ... ، كل هـذا ...؛ الآن أتدرب على الشـــقلبـــة المزدوجة. فهذا شىء صعب.

فـــــــــريـد : وماذا عن قفزات الأسـود وقفـزات الرأس، والشقلبة المزدوجة.

كـــــايتـــــانو : أَجَلْ، أَجَلْ ...؛ إننى أتدرب على كل هـذا، وسـأقـوم بكل ما يقوم به أىُّ شخصٍ آخر.

مـــــدام هـنرى : فإنه ليس سيئًا، ليس سيئًا. فأنا سعيد. حسنًا، يا عزيزى فريد ... لم أكن أرغب أن تأتى هذه اللحظة. أنت تعلم أنّك كنت ابنًا لنا ... وأنا أنظر لكم جميعًا كـأنكم أبنـائى ...، لكنك تعلم كـيف هـو العـمل التجـارى ... فحادثتك ستكلفنا هذا العام خسارة تبلغ اثنا عشر ألف فرنك.

السـيـد هنرى : لا تتكلمى عن هذا.

مـــــدام هـنرى : أنا لا أقصد منها شيئًا ...؛ فقد كنتُ على استعداد لإعطاء هذه النقود مسرورة على ألاّ أفارق فريد ...

السـيـد هنرى : لا تقولى شيئًا. فـريد ... (يعطيه ظرفًا به عملات ورقـيـة) هنا لديك شىء قـد جـمـعناه من بيننا ... السيد ريتشارد قد أعطانى خمسين فرنك، آنسة ديانا، خـمـسين آخـرين ...، البـاقى لنا ...، وبهـذا يمكنك أن تسعى إلى بعض الراحة، فيما بعد، أنت تعرف ...، إذا لم يكن لديك شىء ...؛ فنحن دائمًا ...، ستكتب لنا ...، ها أنت تعلم عنا ...

مـــــدام هـنرى : أَجَلْ، أَجَلْ ، سنكتب لك جميعًا.

بـــــرتـــــــا : سـأرسل لك بطاقـات بريدية من كل الأمـاكن ...؛ أجمل البطاقات التى سأجدها.

السـيـد هنرى : حـسنًا ... عناق قـوى لنا جـمـيـعًا ...، ولا يجب أن

تتأثر. فريد ! (يعانقه)

مـــــدام هـنرى : (تعـانقـه) يا بُنى ! فـأنت لا تـعـرف ... لا ...، فـأنا لا أستطيع.

بــــــرتـــــــا : (تقبله) قبلة، يا فريد، قبلة لأختك الطيبة.

فــــــــــريـد : وداعًا، يا برتا ... اسعدى ... ولا تكونى مثل نل.

مـــــدام هـنرى : هذا، لا ! ... لن نسمح لها بذلك.

هــوجـــــــــو : فريد ! فأنا لا أتذكَّر شيئًا ... وماذا عنك؟

فــــــــــريـد : ولا أنا أيضًا ...، ولا عنها ... (يتعانق الاثنان)

دك : (يعانقه) فنحن لم نتعارك أبدًا، أليس كذلك؟

فــــــــــريـد : أبدًا.

دك : لم يتعارك معى أحدًا، فأنا أضحك على كل شىء.

كــــايتــــانو : إننى تحت أمرك فى كل شىء ...، كايتانو ...؛ أينما يرحل هؤلاء الأصدقاء، فـأنا تحت أمـرك ...، خـادم وصـديق ... من القلب، أليس كـذلك؟ من القلب من أجل كل مـا أسـتطـيع أن أقـدمـه لك. لقـد سـعـدت كثيرًا و لدى شعور حقيقى عندما أراك توافق على ذلك ... لن أقول لك شيئًا أكثر من ذلك ... من القلب، أليس كذلك. (يشدان على أيديهما بقوة)

فــــــــــريـد : شكرًا ... وداعًا ...، وداعًـا لكم جـمـيـعًـا. لن أخـرج مـعكم لأننـى لا أريد السـيـر ...؛ الآن سـأودعكم من

هنا ... وداعًـــا ! (إلى برتا ومـــدام هنرى اللذين يرجعان ليعانقاه)

السيد هنرى : هيًّا ... أنتِ، برتا ... أنتِ ... آه من النســاء ! ... ألا ترانى؟ فريد ! هيًّا! اخرجا ... وداعًا يا فريد ... وداعًا ... (يخرج ليعانقه. يخرج الجميع من الباب الثانى متأثرين للغاية، وبرتا ومدام هنرى يبكيان. ينهض فريد، ويطل من النافذة لكى يودعهم، ثم يجلس على المقعد، يبكى بيأس)

المشهد الرابع

فريد ، وبعد ذلك الرَّاهبة سيمبليثيا التى تخرج من الجهة اليسرى فى مؤخرة المسرح.

سيمبليثيا : يا أخى ...، يا أخى ! ... من الجيد أن تودعهم بحزن ...، لكن ليس بيأس.

فريد : إنها الحياة، الحياة بأكملها التى ترحل ... ما هذا الذى يبقى هنا؟ فهم يرجعون إلى حياتهم، التى كانت هى حياتى، فأنا لا أستطيع أن أتبعهم؛ فقد انتهت الأيام السعيدة ...، الضحك مع الرفاق ...،

المنافسة مع الخصوم، الليالى المجيدة، تصفيق الجمهور ...، الذى يجعل الشخص ينسى كل شىء، والذين يهبون الحياة للشخص ويجعلونه قادرًا على أن يلقى بنفسه من أعلى السيرك إلى منتصف الحلبة ...، لو يعلم الشخص أنه بدلاً من صرخة خوف ... ستكون هناك صيحة إعجاب ... التى نسمعها عندما ننجح.

سيمبليثيا : يا له من شىء فظيع ! لا أريد أن أسمعك. زهو التصفيق يمكنه أن يفعل الكثير ! ...

فريد : والآن ...، من أنا؟ ماذا أستطيع ؟... هل أنا هذا ؟... هذا الجسد الذى كان يمكنه أن يقذف مثل السهم فى الهواء جسدى ...؛ هاتان الساقان اللتان كانتا مثل سوستة من الفولاذ ساقاى؛ هذان الذراعان اللذان كانا فى مرات عديدة من حديد ومرات أخرى من ريش، مثل أجنحة العصفور ... الآن فى معتزل، الماكينة تالفة، اللعبة مكسورة ... وكل هذا الحطام فوق شبابى...، وأنا مثل العامل الذى يرى المبنى الذى كان يقيمه يتهدم فوق جسده، ويدفن وهو حى تحت الحطام. فجميع جسدى منهار فوق قلبى!...

سيمبليثيا : لا شيء يثقل على القلب إذا عرفنا أن نضع له أجنحة ... إذن؛ فهو فقط يرفعنا فوق كل آلام العالم. (ينظر إلى الجهة اليمنى) هناك شخص ينتظرك، يا سيد فريد. (تخرج من الجهة اليسرى من مؤخرة خشبة المسرح.)

المشهد الخامس

فريد، ونل ، وبوب، من الجهة اليمنى من مؤخرة خشبة المسرح. بوب، مع كلبه الصغير.

فريد : نل ! ... أوه ! نل !

نل : أنا ...، نعم ...؛ لم تكن تنتظرى ... لقد قالوا لك إننى لن أتى لرؤيتك، أليس كذلك؟

فريد : لم أكن أريد تصديق ذلك ... كنت أتمنى أن تأتى لتودعينى ...، برغم كل شيء ...

نل : برغم كل شيء؟

فريد : لا، لن نتكلم عن أى شئ، يا نل؛ يكفى رؤيتك. ماذا أستطيع أن أطلب؟ ... كيف كان يمكننى أن أفكر فى أن تضحى بنفسك؟ ... أنا أعرف ... فلتكونا سعيدين.

نـــــــــــــل : (إلى بوب) أترى كيف أنه ليس شخص أنانى؟

بـــــــــــوب : لكن ستجعلينه يعتقد أن ... انظر، فأنا أريد أن أخبرك ...

فـــــــــريد : ماذا؟

نـــــــــــــل : لا تكترث به؛ فهو يخشى من أنك تكون غاضب منه.

فـــــــــريد : أنا؟ لا ... مما يمكنى أن أشتكى؟

نـــــــــــــل : أترى كيف أنه أقوى منك؟

بـــــــــــوب : لا تعذبيه أكثر من ذلك.

نـــــــــــــل : اصمت! كنا نعلم أن عائلة هنرى قد أتوا ليودعوك ... انتظرنا حتى رأيناهم خرجوا. ماذا قالوا لك؟

فـــــــــريد : ماذا كان عليهم أن يقولوا لى؟ إنكِ لم تجددى عقدكِ معهم.

نـــــــــــــل : فهم غاضبون للغاية ... وقد أراد هوجو قتلنا ...

بـــــــــــوب : وهنا الدليل ... (يشير إلى علامة ضرب فى خده الأيسر) لكن هو أيضًا لديه شىء؛ فأنا فقط أكثر أمانة ... لم أضربه فى وجهه؛ فملامح الوجه لابد أن تحترم، وأكثر فى فنان، يعيش بتقديم وجهه للجمهور.

فـــــــــريـد : لم يقـولوا لى إنكم تشـاجـرتم. قـالوا لى إنكمـا ستذهبان معًا، إنكما ستتزوجان؛ فـهذا لم يقله لى؛ لكن افترضته أنا.

نـــــــــل : أجَلْ، أجَلْ؛ سنتزوج، سنذهب معًا ...

بـــــــوب : نل ! إنه سيبكى.

نـــــــــل : ما رأيك يا فريد؟ ما رأيك؟

فـــــــــريـد : هل ستستمران مع السيد ريتشارد؟

نـــــــــل : لا، سـينتـهى عـقـد بوب خـلال أربعـة أيام، وحـينئـذ ستكون حـيـاة مـخـتلفـة ... لا نريد أن نـخـضـع إلى شـركات ومـديرين ...، نريد أن نعمل بحـرية، بفـرحـة، حتى لو كان المكسب أقل. سنشـترى عـربة حنطور وبغـلة جـيـدة، اللـهم إلا إذا كـان جـوادًا جـيـدًا، وسنشــتــرى تلسكوب عــاكس بزجــاجــه الملون وبأشكاله لكى أقـدم أنا الفـراشـة الرائعـة ورقـصـة النار والزهور. وسـيـأخـذ بوب جـمـيع حـيـواناته المدربة، فأنت تعرفها، وتلميذه الجديد.

بـــــــوب : فـإنه ذكى للغـاية ...؛ أرغب فى أن أعلمـه تعليـمًـا كلاسيكيًا، يلائم المهرجانات الكبيرة التى سنعمل فيها. سأعلمه كيف يقف أمـام أجمل فتـاة فى حلقة

الناس والقابلة العجوز. سأعلمه كيف يقفز مثل الإسبان وليس كالفرنسيين.

نـــــــــــل : لأننا لم نخبرك أننا سنذهب بهذه الطرق، من قرية إلى أخرى ومن مهرجان إلى آخر، ومعنا طبل كبير وبوق لكي يعلنا وصولنا وحفلاتنا .أينما نرى أناسًا فضولية، ولديهم الرغبة فى أن يتسلوا، سنتوقف؛ عندما لا يخرج أحد لاستقبالنا أو يستقبلونا بوجوه غاضبة، سنرحل إلى منطقة أبعد "يالكم من أناس أغبياء، – سنقول لهم – ، لا تستحقون فننا!" وأؤكد لك أننا لن ينقصنا أى شىء لكى نعيش وإلى أن ندخر بعض النقود، وعندئذٍ سيمكننا أن نمتلك سيركًا كبيرًا متنقلاً وفرقة بأكملها، وسنذهب إلى مدن كبرى ...، وبعد ذلك سنمتلك سيرك ثابت، مثل سيرك السيد ريتشارد ...، سنصبح ذوى أملاك، ولدينا نقود فى بنك، مثل عائلة هنرى ... و سأشترى أنا أقراطًا من الماس وبوب سيشترى خاتمًا كبيرًا ... ما رأيك، يا فريد؟ ما رأيك؟

فـــــــــريد : إنه حلم جميل ! لمَ لا ؟ فأنتما فى سن الشباب، وأقوياء ...، ولديكما حبكما، سعادتكما ...

نـــــــــــل : حقًّا؟ ماذا تعتقد أنت؟ ألا تريد أن تأتى معنا؟

فـــــــــريـد : معكما؟ أجَلْ، لكى أكون مهرج شعبى، مازلت أقدر على الخدمة ... فعرجى سيعجبهم ... وسيتركونى أقع. بوب سيضربنى صفعات فى تمثيله الصامت ... وإن لم أخدم فى شىء آخر، سيمكننى أن أكون من يدق الطبل وينفخ فى البوق، وسأصرخ من أعلى العربة: "سيصلون، سيصلون ! ... حدث لم يُر من قبل ! ... نل الجميلة والرائع بوب والأقل روعة فريد، الفنان ذو الساق الواحدة، ومجموعته من الحيوانات المتوحشة، و..." (نل وبوب يحزنان) هل كنتما جادين؟ ولا حتى فى هذا أستطيع أن أخدمكما، أليس كذلك؟

بـــــــــوب : نل ... فنحن لسنا متيدين. تعال إلى هنا. إنما لا تعرفه أنت هو أن نل تعذبك لكى تسخر فيما بعد.

فـــــــــريـد : ماذا؟

بـــــــــوب : فإنك ستأتى معنا ...، معها. إنك من تحبه هى، كما كانت تحبك من قبل، وأنت من سيتزوجها ...، وأنت الذى من أجله تركت عائلة هنرى، ومن أجلك أنت فقط فكرت هى فى أن أصاحبكما، وأنا سآتى معكما من أجلك ومن أجلها هى الأخرى، ومن

أجلى أنا أيضًا؛ لأنى سعيد للغاية، سعيد جداً ...
إذن ماذا اعتقدت أنت، أننى قادر على المجىء هنا
لكى أعذبك؟

فــــــــــريـد : لا، لا تمزح. نل !

نــــــــــــل : أجَلْ، يا فريد، هذا، هذا ... أتعتقد أننى كنت
أستطيع هجرك الآن مثل هؤلاء الناس الذين
يستغلونك، وأننى مثلهم؟ كيف كنت تحبنى إذن
وأنت تصدق ذلك ! وهل كنت تستسلم لفقدانى؟ ألم
يكن يهمك أننى أحب شخص آخر؟ ... لا، يا فريد،
سنذهب معًا، دائمًا معًا؛ فبوب أخ لنا، وسنكون
سعداء للغاية. العمل سيكون فرحة، مثل لعب
الأطفال، ضحكاتنا وأغنياتنا ستسعد الطرق
الطويلة والأيام المؤلمة ...

فــــــــــريـد : نل ! ... لا تمزحى ... إذا كان الآن هو الوقت الذى
أعتقد فيه أنكم تخدعوننى، أو أننى مازلتُ أهذى
من الحُمَّى، هناك، بين المرضى، والمحتضرين ...،
عندما كنتُ أعتقد أنى أراكِ بجانبى، كالآن ...،
وكنت أعتقد أننى أسمع نفس هذه الكلمات ...،
وكنت أرى نفسى معكِ، مثلما تقولين، بين الطُرق

الطويلة التى نجدها بعيدة جدًا، لكننا كنا سعداء، ولم يكن يهمنا الطريق فى أى شىء ... ولكنه لم يكن هذيانًا ...، فقد كنتِ تفكرين فىَّ ذلك أيضًا ... لا؛ فهذا لا يُقصد ... لقد كان قلبك، يا نل. وقلبك أنت أيضًا، يا صديقى الطيب. لقد كنتما تشفقان علىَّ، على العاجز، على البائس.

نـــــــــل : لا، يا فريد؛ فإنه حبى، حبى العادى. هل كنت تصدق أنه كان بإمكانك البعد عنى؟

فـــــــريد : حبُّكِ ! شكرًا، يا نل، شكرًا.

نـــــــــل : ليست هذه هى الطريقة التى ينبغى عليك أن تكلمنى بها؛ فأنا أريد أن أراك سعيدًا.

فـــــــريد : أجَلْ ... ، أجَلْ ... لأنه يبدو لى كذبًا، لكننى أرى أنه ليس كذلك... فها هى هنا ساقى المكسورة لكى تخبرنى بأن كل ذلك حقيقى، وأننى لستُ أحلم.

بـــــــوب : عجبًا، عجبًا ! ... مدير فرقة لا يمكنه أن يضيع الوقت ... فأنت متعاقد معنا ... وستخرج من هنا هذه الليلة. فأنت على ما يرام، وما تقوله الآن شىء حزين للغاية. أنا ونل سنأتى لنأخذك فى عربة. والآن علينا أن نعتنى بألف موضوع. شراء أرجوحة البهلوان، التلسكوب العاكس ...، وسلك

جـيـد. ونقـوم بالاتفـاق على عـربة وبغلة، دون أن ننسى الطبل والبوق. هـيا بنا، يا نـل ... بينما فـريد يودع الجـمـيـع هنـا ويجـمـع مـلابسـه، نـكون قـد أنـهـينا هذه الأمـور. عـلاوة على أن "نينشى" جـائع. سندخل في مـقـهى وسنتناول شـيئًا أليس كذلك يا "نينشى"؟ (يتوجه إلى الكلب.) "نينشـى" يقول نعم؛ فإنه ذكى جدًا.

نـــــــل : لكن هل أنت حزين؟ أذلك لأنك نسيتنى؟

فـــــريد : نل !

بـــــوب : هيا بنا، هيا بنا. سنعود على الفور ... وستكون أنت قـد قـمت بتـجـهيـز كل شـيء ... آه ! واسـتـعـدادات الزواج لم أنسـهـا هـى الأخـرى، وأنا الإشـبين(*)، وذلك اليوم أنا من سيصرخ، كما كنا سنمشى بين المهرجانات: "سيـصلون، سـيـصلون ! حـدث غيـر عادى ! تمثيل صامت تراجيدى كبير! زواج الجميلة نل من حبيبها فريد، اللذين كانا أشبينهما مزيل السدود بوب، الذى بسبب غياب الحماة يعرض

(*) الإشـبين - (عند المسيحـيين) هو من يصـاحب أحد العروسـين فى جلوته، أو كفيل المعمد.

للزوجين الحديثين كل مجموعته من الحيوانات المروضة وغير المروضة! سيصلون، سيصلون! "

نـــل : فأنت حزين، يا فريد، أنت حزين !

فـــريـد : قلت لكِ لا؛ ذلك لأنني أريد أن أضحك، أقفز ...؛ أجلْ، فأنا أريد أن أقفز من الفرحة. لكن قلبي فقط هو الذي بإمكانه أن يقفز ... هنا، محبوس في هذا الجسد المسكين العاجز.

بـــوب : إلى اللقاء، يا فريد، إلى اللقاء. هيا بنا، يا نل، هيا بنا.

نـــل : إلى اللقاء، يا فريد، إلى اللقاء ...، أليس كذلك؟

فـــريـد : أجَلْ، إلى اللقاء. (تخرج نل وبوب من الجهة اليمنى من مؤخرة خشبة المسرح، وهي تنهنه، وتعمل على كبح البكاء)

المشهد السادس

فريد، وبعد ذلك، المرض، من الجهة اليمنى من مؤخرة خشبة المسرح، ومعه حزمة من الملابس.

فـــريـد : لا، لا يمكن أن يحدث. لن يجداني عندما يعودان. (ينادي من الناحية اليسرى) يا أختاه ... أين أنتِ ؟... يا أختاه ...

المـمـــــــــــرض : ها هنا ملابس حضرتك. كنتُ قد أعددت كل شيء؛ لأني اعتقدت أنك ستذهب مع رفاقك الآخرين ...، مع الذين كنت أعتقد أنهم عائلة سيادتك. الآن قد قال لي هذان الشابان إنك ستذهب معهما، وإنهما سيأتيان في الحال ليأخذاك.

فـــــــــــريـد : أجَلْ ، أجَلْ ... لو تكرمت ابحث لي عن سيارة ...

المـمـــــــــــرض : قد قالا رفاقك إنهما سيأتيان بواحدة ! ...

فـــــــــــريـد : لا، سأخرج قبل أن يأتيا. سأخرج الآن. هل المدير هنا؟ أريد أن أودعه. والأخوات. أريد أن أودع الجميع؛ فجميعهم كانوا طيبين معي!... عندما يرجع هذان الشابان، أخبرهما أنني لست هنا، وأنني سأكتب لهما. لا، لا تخبرهما بشيء؛ إنني لست هنا، لا شيء أكثر من ذلك ...

المـمـــــــــــرض : حسنًا، سأذهب لأرى عما إذا كان المدير بمكتبه ... وفي طريقي سأبلغ الأخت. (يترك حزمة الملابس فوق المقعد، ويذهب من الجهة اليسرى من مؤخرة خشبة المسرح)

المشهد السابع

فريد ، والراهبة سيمبليثيا التى تخرج من الجهة اليسرى من مؤخرة خشبة المسرح.

فـــــــريـد : (عندما رأى خروج الراهبة سيمبليثيا) كنتُ أبحث عن حضرتكِ لأودعكِ.

سـيـمـبليـثـيـا : كيف ذلك ؟... هل ستخرج حضرتك اليوم؟

فـــــــريـد : أجَلْ ، الآن ...

سـيـمـبليـثـيـا : أبهذه السرعة؟ لماذا لا تنتظر سيادتك زيارة الطبيب ؟...

فـــــــريـد : من أجل أى شىء، إذا كان هو قد قال لى إننى يمكننى الخروج وقتما أريد؟

سـيـمـبليـثـيـا : إذا كان هذا فحسنًا، لكن بما أنك منذ لحظة لم تكن تفكر فى ذلك ... الآن تبدو كأنك تهرب من هنا.

فـــــــريـد : هذا صحيح ... بالفعل أنا أهرب.

سـيـمـبليـثـيـا : لكن، ما هى الدوافع ...؟ سامحنى إذا كنتُ متطفلة ... هل أثَّرت فى قرارك الزيارة التى كانت لديك الآن؟

فـــــــريـد : أجَلْ، تلك الشابة التى رأيتها حضرتكِ ...

سيمبليثيا : فهى نل ، أليس كذلك؟

فريد : أتعرفين اسمها؟

سيمبليثيا : لقد أتت عدة مرات لرؤية سيادتك ... وحضرتك قد ذكرت اسمها كثيراً عندما كنت تهذى من الحمى ...

فريد : أجَلْ ...، فهى ... كنت أعتقد أنها نسيتنى، اعتقدتُ أنها لن تفكر فى الارتباط بى ...، اعتقدتُ أنها كانت تحب رجلاً آخر ... وقد استسلمتُ لكل ذلك ...

سيمبليثيا : والآن ...

فريد : والآن هى التى أتت لتعرض علىَّ حبها، حياتها بأكملها، عملها الفنى المسكين، وتتقاسم حظها معى؛ فأنا لا أخدم فى أى شىء ... لا أستطيع أن أقبل هذه التضحية، هذا الإحسان ...؛ لأن هذا الحب شفقة.

سيمبليثيا : لا أكثر؟ هل هناك كلمة أو عهد يمكن أن يجبرها؟

فريد : لا؛ فأنا لن أستطيع طلب أى شىء ...؛ لن يمكننى أن أجبرها على أى شىء.

سيمبليثيا : هل تعتقد أن هذا العرض صادق؟

فريد : نعم، إنه كذلك..؛الآن كذلك... لكن يمكن لقلبها أن يخدعها.

تضحية كتلك من أجل شخص عاجز ستكون عائقًا في حياتها! ... وأنا لا يمكنني أن أكون أنانيًا إلى هذا الحد.

سيمبليثيا : الأنانية هي ألاَّ نقبل الخير الذي يعرضوه علينا، ربما لأننا لسنا واثقين من إمكانية رده بامتنان.

فريد : امتنان؟... سأكافئها بحياتي. لكن، ماذا تساوي حياتي؟ حياتي وكل حبي لا يكفيان لكي يكافئا هذه التضحية ...

سيمبليثيا : أينما يوجد حب لا توجد تضحية... من أجل حب الله نكرس نحن حياتنا للمرضى والفقراء. وفي كثير من الأحيان نتلقى إهانات بالمقابل، ولن ترانا سيادتك حزينات بسبب ذلك، ولا نادمات.

فريد : من أجل حب الله... أجَلْ ... فسيادتكن تنتظرن الفردوس مكافأة لتضحيتكن ...

سيمبليثيا : هذا صحيح... لكن، أتعتقد سيادتك، فليسامحني الله ! إذا لم يكن هناك فردوس فسنكون قد أخطأنا الطريق؟ فأنا سعيدة للغاية بهذه الحياة التي تبدو لك أنها تضحية؛ فكثير من الأحيان أرى أنه إذا لم يكن حلم الله لا نهاية له ، فيجب ألا أن نتطلع إلى

أفضل ثواب. لهذا لم يخطر ببالى أبداً أن المرضى الفقراء هم الذين ينبغى عليهم الامتنان لى بأى شىء. أنا التى يجب علىَّ الامتنان لهم؛ لأننى بخدمتى لهم على قدر ما أستطيع يسمحون لى بخدمة الله. ياليتهم يحظون بصحة جيدة و روح مطمئنة مثلما يجلبون هذه الأشياء لنا! لا تتردد سيادتك فى قبول هذا الحب أو هذه الشفقة. إذا كان من أجل الحب...، فلن تكون تضحية؛ إذا كانت من أجل الطيبة، فخذ في اعتبارك أن بقبولها تعطى قيمة للخير الذى يفعلوه لنا... كنت تعتقد سيادتك أنك مهجور من الجميع؛ فربما كنت تفكر فى الموت... أو فى الانتحار ... أتعتقد سيادتك أن باختفائك إلى الأبد ستكافئ جيداً هذه التضحية التى بقبولها ستصبح سعيداً؟ ... أوه سيد فريد ! إن حياتك بأكملها وفنك وربما جميع أحبائك ... لم يكن لديهم روح أكثر من جسد البهلوان القوى... يوجد شىء غير القوة الغاشمة... فقواك لا تكفى لأن تقف... تحتاج إلى دعم... قد كنت سيادتك الرجل القوى... كنت تشعر بالغرور؛ لأنك الشخص

الذى يحمى، أو ربما الذى يظلم المرأة المحبة التى
تعرض عليك اليوم ذراعيها لكى تقوم. إنه غرورك
الذى يعارض فى قبول الحب الذى يبدو لك الآن أنه
حماية ... أليس كذلك؟ اعترف بذلك؛ فإنه غرورك.
لا تخف؛ فنحن السيدات متواضعات أمام
الضعفاء، وقوتنا نسميها رفقًا، وحنانًا، وشفقةً ...

المشهد الثامن

السابقون، ونل، وبوب، من الجهة اليمنى من مؤخرة خشبة
المسرح. وبوب ليس معه كلبه.

فـــريد : نل!

نـــل : أَجَلْ، فإنه أنا ... عرفتُ من حزنك، من الطريقة
التى ودعتنا بها ... وقد قلت ذلك لبوب عند
خروجنا، فريد لن ينتظرنا، فريد سيهرب منا. من
أجل ذلك رجعنا بسرعة، وكان ما قلته صحيحًا...
أعلم أنك كنت سترحل. أهذا لأنك لم تعد تحبنى؟
ألأنك لم تصدق حبى؟

بـــوب : ولا حتى يصدق صداقتى...، فهو مضاعف...؛ لأنه
من أجل اثنين؟

فـــــــــريـد : فأنا أصدق تضحيتك...، أصدق طيبتك...

نـــــــــــل : تضـحـيـة، لا، فـريد. إننا سـعـداء للغـاية! إننى لم أشعر أبداً بسعادة كبيرة إلى هذا الحد!

بـــــــــوب : ولا أنا ... ، ولا أنا ... كنت تفكر فى الخـروج من هذا وحدك؟!

سـيـمـبليـثـيـا : لا، لقـد كـان ينتظركـمـا ، وسـيـخـرج مـعكمـا الآن. وستـأتى حضرتك فى يوم آخر لتودع الجميع. إن السيـد فـريد لم يـكن يفـهـم أن هنـاك شـفـقـة وحـبًا من أجـل الضـعـفـاء والبـائسين بدون تضـحـيـة، ولم يكن يـريدك أن تضـحـى ، وبدلاً من أن تكون زوجـة مـحـبـة كنتِ سـتـكـونين أخـتًـا فى حب الله. وقـد أقنعـتـه بأنك هكـذا... ستكونين سعيدة. بالتـأكيد أنا فـقط التى كـان يمكننى أن أكلمـه عن الحب الإلـهى... لكن، أى حــب هذا، إذا اســتـحق أن نطـلق عليـهـا هذا الاسـم، ألا يـكون دائمًـا لله، كمـا أنزله الله؟

نـــــــــــل : لا ، فنحن الآن لن نطلق سـراحك. بوب ، أنت من ذراع، وأنا من الآخر.(يأخذ كل واحد منهما بذراع ويدفعانه من المقعد) هكذا، سجين. كنت تفكر فى الخروج من هنا بطريقة أخرى.

فــــــــريـد : لا ، لا؛ مـثل الآن ... لقـد كـان حلمى ....، لكن كنت أصـدقـه بكل روحى، أختـاه، هل تسـمـحين لى، أن أقبل يدك، وأنا أودعك؟

سـيـمـبليـثـيـا : الصليب ... صليبنا ...، الذى نحمله جميعًا ... لكن مـثل هذا، يالجمـالهـا أذا أخذها الجـمـيع من أجل الحب! (يُقبل صليب السبحة)

نــــــــــــل : وأنا أيضًــا، أيتــهـــا الأخت الطـيــبــة، الأخت القديسة.(تُقبِّل الصليب أيضًا)

بـــــــــوب : اسمحى لهذا المهرج الحـقـير...، الذى كـان دائمًا يـبـجـل هذه الأخـضـرة، فـعـزاؤنا نحن الفـنـانين الفـقـراء الذين نذهب بالعـالم أننا لا نـعـرف أين تُكسـر رؤوسنا ...، لكننا نعلم أننا يجب أن نموت فى مـسـتـشـفى مـثـل هذه. (يقـبل الصليب هو الآخر)

سـيـمـبليـثـيـا : ليحميكم الله دائمًا!

نــــــــــــل : هيا بنا ، يا فريد.

فــــــــريـد : لا، اتركـيـنى، سـأذهب أنا وحـدى.(يسـتـند إلى العكاز)

نــــــــــــل : المسكين فريد! وهل كان بإمكانى أن أهجرك؟

فـــــــــــريـد : لم أعتـقد أنني سأمشي بهذه الخفة؛ فأنا مازلت قويًا ... مازلت قويًا ...

سـيـمـبليـثيـا : إذن، ماذا كنت تعتقد؟ أكثر قوة من أي وقت مضى ! ... وهذه القوة لا تنتهي مثل الأخرى، يا أخي... فهي في الروح!

(يبدأ الثلاثة في السير، بوب يأخذ حزمة الملابس، ويحملها خلف ذراعه ، وينزل الستار ببطء)

المؤلف فى سطور :

خاثينتو بينابينتى مارتينيث

ولد خاثينتو بينابينتى مارتينيث فى الثَّانى عشر من أغسطس ١٨٨٦ بالمنزل رقم ٢٧ الكائن بشارع ليون فى وسط العاصمة الإسبانية مدريد . أما والده فهو ماريونو بينابينتى مارتينيث فقد كان طبيبًا مرموقًا، وعضوًا بالأكاديمية الطبية الملكية ، كما كان شغوفًا محبًا للقراءة وحريصًا على اقتناء أحدث الكتب والأعمال الأدبية وحضور أوَّل عرض للأعمال الدِّرامية .

وقد نمت لدى بينابينتى هواية المسرح حتى إنه كان يصنع مسارح من الورق المقوَّى ليتسلَّى مع أقرانه وليسلِّى الجيران وأفراد الخدم ، وكانت لبينابينتى قدرةٌ لا نظير لها على تقليد أصوات شخصيات المسرحية حيث كان يقوم بعدة أدوار فى العمل الدرامى الواحد .

إن مسرح بينابينتى كان نثريًا ، وقد بدأ إنتاجه فى الحقبة الأخيرة من القرن التاسع عشر ، وعلى وجه التَّحديد عام ١٨٩٢ ، إلا أنَّ خشبة المسرح لم تشهد أحد أعماله الدِّرامية "El Nide ageno" (عشُّ الغريب) إلا فى عام ١٨٩٤ ، ثم توالت تباعًا مسرحيات مؤلِّفنا ؛ ففى عام ١٨٩٦ عَرِضت له مسرحية (أناسٌ معروفون) "Gente conocida" و "LA

و ١٩٠١ "La cursi" (المتحذلق) و (١٨٩٧) comi da de las fieras"
"La noche del و (ابن العم رومان) ١٩٠١ "El Primo Román"
"Rosas de otoño (ورود الخريف) و ١٩٠٣ (ليلة السبت) sábado"
١٩٠٥ و (المصالح المختلفة " Los intereses creados" ١٩٠٧ و (القوة
الغاشمة) "La fuerza bruta" ١٩٠٨ و (المدينة السّعيدة والواثقة) "La
"La malquerida " (المحبوبة البغيضة) و ciudad alegry confiada"
١٩١٣ ، .... إلخ .

المترجمة فى سطور

آمال شكرى لبنة

من مواليد الجيزة ١٩٨٠.

- تخرجت فى قسم اللغة الإسبانية بكلية الدراسات الإنسانية جامعة الأزهر عام ٢٠٠٢ بتقدير جيد جداً مع مرتبة الشرف .
- درست بمدويد (إسبانيا) لمدة شهر فى منحة على نفقة الدولة.
- تعد للحصول على درجة الماجستير فى الأدب الإسبانى .

المراجع فى سطور:

صبرى محمدى التهامى زيدان

- من مواليد ١٩٥١/٤/٢٠ فى محافظة الشرقية .
- حصل على دكتوراه فى اللغة الإسبانية وآدابها سنة ١٩٩٥.
- عمل بالصحافة الثقافية والترجمة فى مصر والخارج .
- صدرت له (بالاشتراك) ترجمة لتفسير القرآن الكريم فى ٢٠٠١ م - ١٤١٢ هـ.
- له العديد من الترجمات منها :

« ورود الخريف » و« عش الغريب » (مسرحيتان) من تأليف خاثينتو بينابيينتى .

« رحلة إلى الجذور » للكاتب الكولومبى جارثيا ماركيث .

حوارات مع خوان رامون خيمينيث

- رواية السيد بيرفيكتا
- روية السيد سيجوندو / سومبرا
- روائع أندلسية إسلامية
- فورتوناتا وخاثينتا

التصحيح اللغوى : عبد الرحمن حجازى .

الإشـــراف الفنى : حســــــن كــــامـــل .



خاثينتو بينابينتي

ليلة السبت و القوة الغاشمة

ترجمة: آمال شكري لبنة
مراجعة وتقديم: صبري محمدي التهامي

تمثل مسرحية "ليلة السبت" صراعًا بين مجتمعين: أحدهما أرستوقراطي ينعم بالترف والحياة المريحة والبذخ فهو عالم الأمراء والأثرياء. والثاني مجتمع الفقراء المهمشين الذين يعيشون على الفتات أو يتضوَّرون جوعًا؛ مجتمع المتع والملذات ومجتمع الأشرار الذين لهم كل شيء من سهرات حمراء ومقابلات وسكر وعربدة.

استطاع بينابينتي أن يقدم لنا في " ليلة السبت" قصة إيمبريا التي جاءت من الحضيض، من قاع المجتمع ووضعت لنفسها هدفًا طموحًا وتمكنت بإرادتها الفولاذية وقوة شخصيتها أن تتغلب على جميع الصعوبات التي واجهتها بما في ذلك وضعها الاجتماعي المتدني؛ حيث أحبت أميرًا خدمته الظروف لكي يعتلي عرش إمبراطورية سوابيا وأصر على اصطحاب إيمبريا معه وإلا سيتنازل عن العرش.

أما مسرحية "القوة الغاشمة" فهي عمل درامي يصور لنا الحياة في السيرك التي كان بينابيتي شغوفًا بها ويتعاطف مع العاملين فيه بسبب معاناتهم. وهاهي المسرحية تحكي لنا قصة فريد بهلوان السيرك مصدر إعجاب الجميع ومحور اهتمام الآخرين مر... وأصحاب السيرك نظرًا لإتقانه وإجادته لفنه ومهنته فضلًا... قوي البنية. لكنه ذات يوم سقط وهو يؤدي تدريباته فأصـ... وأصبح معاقًا لا يقوى على أداء عمله رغم علاجه بالمستـ... ضربت خطيبته نل مثالًا في التضحية والوفاء والإخلاص؛ حـ... هي وصديقه بوب ألا يهجراه بل سيعيش ثلاثتهم سعداء... جنب، وسيكون فريد مديرًا للسيرك وهما، بوب ونل، العا... وسيتزوج فريد نل حيث برهن بوب على تفانيه وإخلاصه وإ...

